



الأدب الأسبوعي

www.awu.sy



الأسبوع الأدبي - السنة الواحدة والثلاثون العدد، "1703" الأحد/8/11/2020م - 23 صفر 1442 12 صفحة 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

• مالك صقور

كلمة أولى

كراتشكوفسكي و المخطوطات العربية ١.

يتذكر المستشرق - المستعرب أغناطيوس كراتشكوفسكي رحلته الأولى إلى بيروت، وكان قد اقترح عليه أستاذه روزن أن يزور المشرق العربي، لكنه توفي قبل أن يوفد كراتشكوفسكي إلى بيروت، وهكذا، طال انتظاره، لكنه سافر أخيراً عام 1908 بحراً إلى بيروت في شهر تموز. بداية، كما يقول: واجهته خيبات أمل كبيرة، ففي حين أنه زعم أنه يتقن اللغة العربية الفصحى، غير أن ذلك كان بالنسبة إليه قليل المنفعة وذلك لتفشي اللغة العامية، التي كان يعتقد أن اللغة (اللهجة) العامية ما هي إلا بعض تسجيلات عن الأدب الشعبي، في الشوارع، لم يفهم كلام الناس، ولا الناس فهمت كلامه، مع ذلك، أصر على التعلم، وكان لا بد له من أن يتعلم (التكلم) باللهجات العامية التي يخاطب الناس بعضهم بعضاً. فقرر السفر إلى بلدة صغيرة لبنانية حيث لا يمكن أن يسمع فيها هناك أي لهجة أخرى سوى العربية. في هذه القرية التي لا يسميها، وجد كراتشكوفسكي طبيعة جديدة ووجد بشراً جديداً، وفي تلك البلدة أعجبه الناس، وعاش معهم واختلط بهم رغبة بتعلم لغتهم، هناك في تلك القرية، اكتشف أن اللبنانيين أناساً اجتماعيين طيبين يحبون الاستطلاع، وكانوا في كل مكان يستضيفون (الموسكوبي) بأريحية، وبنفوس راضية مبهجة.

يعترف أغناطيوس كراتشكوفسكي أنه كان انطوائياً، ولا يميل إلى الاختلاط بالناس، لأن مسألة المعاشرة كانت صعبة بالنسبة إليه، ولكن كان لا بد له من ذلك كي يتعلم اللغة العربية. كان معارفه يقولون له: «إنك تشتري ولا تبيع».. «إنك تسمع فقط لكنك لا تتحدث».. هذا يعني أنه يسمع ويستمع ولا يتكلم.. هكذا كانوا يعاتبونه، لكنه لم يستطع أن يتخلى بسرعة عن انطوائيته، في تلك الأثناء بدأ يحس بعطشه إلى الكتب، فهو كان يعيش مع الكتب بحرية أكثر من مخالطته الناس، ولذا صار يطلب كتباً، وجراند، وكانت الجراند تأتي بكثرة، بسبب الحركة التي قام بها حزب تركيا الفتاة، وهذه البلدة التي يعيش فيها، وكانت ترتبط بأميركا، بسبب أهلها الذين هاجروا إلى أميركا. في تلك الأثناء استطاع أغناطيوس كراتشكوفسكي أن يطلع على الأدب السوري - «الأميركي» - أدب المهجر - أول مرة.. وهذا سره جداً، ومن جديد اشتد حبه للكتب، ولكن أخيراً، بعد صراع طويل، استطاع أن يتعلم (اللغة العامية) .. ومع ذلك بقي على عادته.. يحب: أن «يشترى» ولا يحب أن «يبيع»..

في جامعة القديس يوسف قضى كراتشكوفسكي شتاءً كاملاً، وقد تساوت كفتا الميزان في هذه الجامعة، بين الكتب وبين البشر، والجامعة نفسها نصفها فرنسي ونصف عربي، وقد كان سعيداً لأن الذين قابلهم هناك لا يعرفون من حياتهم إلا الكتب والعلم، فاندمج بهم بسرعة، منهم عرب، ومنهم أجنب، لكنه لا يذكر سوى الأجنب، مثل: المستشرق (لامانس) بلجيكي الأصل، والفرنسي رونزفال الذي كان يحقق في اللهجات العربية، ومن العرب الدمشقي الصالحاني وهو نحيف، جدي، رزين، عالم، ماهر في أمور الشعر، وكذلك، في «ألف ليلة وليلة».. وقد استمر هذا الصالحاني الدمشقي حتى في أعوامه التسعين في دراسة شاعره المحبوب الأخطل الذي كان صديق يوحنا الدمشقي في الشباب.

للحديث تتمة



لوحتان للفنان التشكيلي علي السرميني

جمرة الروح... مسدس الشفتين

• محيي الدين محمد

لفتنا الجميلة

• معاوية كوجان

ضمائر الرفع المنفصلة
(أنا، نحن، أنت، أنت، أنتما،
أنتم، أتن، هو، هي، هما، هم،
هن).

إذا وقع ضمير الرفع
المنفصل بعد فعل ماضٍ
ناقص مثل (كان) وغيرها
من الأفعال الناقصة فقد
ضمير الرفع المنفصل عمله
وجاء الاسم الذي يتبعه
خبراً للفعل الماضي الناقص.

أمثلة على هذه الحالة:
كان هشام هو المعني
بالأمر. كان السفر هو
الخيار المفضل لدى تمام. وفي
القرآن الكريم شواهد جمّة
على هذا. قال تعالى:

«... الَّذِينَ كَذَّبُوا شِعْرَ
يُبَا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ»
الأعراف - الآية 92

ثم يقل الله سبحانه:
كانوا هم الخاسرون. إذا،
القاعدة: إذا تبع ضمير
الرفع المنفصل الفعل الماضي
الناقص، فقد عمله وأصبح

لا محل له من الإعراب،
وكان الاسم الذي يتبعه
خبراً للفعل الماضي الناقص.
ومازلت أنكر على أبي نواس
(وهو الشاعر الكبير

العالم بالعربية وأسرارها
والفقيه الذي قيل: (لولا
فجوره لأخذنا عنه الفقه)
- مازلت أنكر عليه قوله:

(وداوني بالتي كانت
هي الداء) بضم الداء.
والصواب أن يقول: كانت
هي الداء.

فضمير الرفع المنفصل
(هي) هنا فقد عمله. فعليه
فنقول: ضمير رفع منفصل
لا محل له من الإعراب.
وقد ناقشت أصدقائي من
المتخصصين بالنحو في هذه
المسألة فجعلوا يؤولون
قول أبي نواس تأويلات
لم تقنعني. قالوا: (هي
الداء) مبتدأ وخبر، وأجيب
فأقول: كيف عاد الضمير
(هو) لعمله بعد وجود
الفعل الناقص (كانت)!!!

وتتكرر لفظة المسدس في بعض القصص وكأنها إحدى
وسائل الرد على الواقع المأزوم في الحياة الفلسطينية من
خلال رمزية الشفتين في دلتين ذاتية وموضوعية، لأن
المؤلف يحضر حيث يقف الإدراك العام في حالة تدفع به
لانتاج الأشياء، التي تدخل فيها روحه بحثاً عن الحدس
بالشيء الذي يرغب بالوصول إليه، فالرمزية الذاتية هي
عمق تجربته الداخلية، التي استنتق فيها كل ما حوله
والموضوعية، هي إحدى أناه الموزعة سريراً على مواطن
الانفعال التي تلازمه حتى في حكاياته، وكأنهم ثلاثة أنواع:
مجنون، نصف مجنون، وعاقل، ولا سيما أعراب العصر
الحديث في حربهم الجديدة ضد وطنه من خلال اعترافهم
بالعدو المغتصب لفلسطين..

وأما ما نقلته قصة "مجرد فلسطيني" في الصفحة 197/
من المجموعة والتي شبه فيها انطلاق المرضة إلى أقرب
مستشفى بعد أن صمت أذنيها نداءات الاستغاثة بطلقة
المسدس وهناك ترى المرضة كوكبة من الجرحى المهملين
ودون عناية، من قبل طاقم التمريض المسؤول عن العلاج في
تلك المشفى، وكان الموقف العام مثيراً في نهاية القصة من خلال
الاشكالية المهيمنة على سلوك اليهود تجاه عرب فلسطين،
"ومنها ترميم جرح سطحي في أثره الصحي لشاب إسرائيلي
كان يوزع نظراته على الوجوه الأنيقة بشغف صداح، فتصرخ
من عمق الجمجمة، وقد استتر فيها الواجب المسلكي أنقذوا
الطفل أولاً، ويجب الكورس بهيجان الثور، وقد داهمه اللون
الأحمر الدموي، لا تقلقي إنه مجرد فلسطيني.."

بهذا التوليف الذكي والمثير الواقعي جداً في قضية المسألة
الإدراكية لمعاناة الفلسطيني حتى في حالة المرض الشديد،
بعد استخدام واو العطف الثانية في مناجاة صحية للطفل
الفلسطيني المريض، إنها تجربة الوعي التي يقال عنها في
المصطلح النقدي بأنها قصة التجربة المزودة برؤيا داخل
أسطرة الطاقة النفسية الطائعة من أسباب عميقة يذكرنا
بشريعة "حمورابي" التي تقوم على مبدأ القتل والنهب
والسرقة، والادعاء الكاذب، وهتك الأعراض، وهذا يستحق
فاعله الإعدام لقاء جرائمهم، كما حصل للطفل المريض في
المشفى لأنه يحمل جنسية فلسطينية..

وفي قصة جمرة الروح التي هي عنوان القصة بالصفحة
11/ لا بد من التنويه عن الأوجاع الكثيرة التي يتعرض
لها الفلسطينيون في معاناتهم، وقد أدارت الحدث أنثى مغطاة
بزغب الفصون الناعمة للعرق، من خلال ملاحظة تلك
العائلة الفقيرة التي تعيش على الحرمان وضيق الحال،
وقد جمعت المعونات التي تنهي حاجة العائلة، وتخفف من
أوجاعها الحياتية، حيث قدمت بطاقة مكتوبة بأحرف
أرجوانية "إليكم بصيصاً من جمرات روعي" وفي هندسة
القصص الأخرى يمكن القول: إن الأديب محمود علي
السعيد قد خاطب التاريخ عبر المواطنة التي هي شرف
الانتماء للتاريخ في ماضيه وحاضره، وبدت حركة الأحداث
في القصص تعتمد على التنوع في توسع خيالي يحمل حكمة
تقول: "إن الغربان لا تلد الحمام" وأن حرية الضمير هي
أثمن ما يملكه البشر باستثناء الصهاينة، وإلى جوارهم
أعراب التطبيع..

إذا كانت القصة القصيرة تعبيراً يلامس الوجدان لتنوير
الوعي الفكري إنسانياً، داخل تجربة مفتوحة على شتى
العوالم الجديدة، في تلاحم ضروري بين المرمى والانفعال
الذي عماده ذلك التألف للوصول إلى قفزة نوعية في الإبداع،
الذي تحرض عليه اللغة في التشكيل الفني، عبر دلالات
واضحة تصل معها الفكرة إلى المتلقي في نهاية القصة..

ولا بد من القول: إن عناصر القصة سواء كانت قصة
قصيرة أم طويلة، لا بد لها أن تعتمد على التثقيف اللغوي
المرفق بقفلة ذات ملمس سحري جاذب يهز القارئ، ثم تأتي
دهشته المفاجأة الخارقة التي تسكن الجسد السرد في
عملية القص، وهذا ما يقودنا إلى قراءة المجموعة التي
حملت عنواناً هو "جمرة الروح" لمؤلفها الأديب الفلسطيني
المقاوم محمود علي السعيد.

وشدنتني في قراءة المجموعة تلك البنية الفكرية، وما
عكسته من جمالية الاحتراق التي احتجرت روح الأديب
محمود المكافحة بداخلها، من أجل وطنه الذي ما زال الناس
فيه يعيشون أزمتهم بردائها الكوني حتى أولئك الذين
ما زالوا في حالات الظلمات الثلاث داخل بطون الأمهات،
ينتظرون المصير نفسه، قبل أن تكتمل الولادة في عالم مأزوم
على كل الأصعدة..

وكانت المفاجأة التي استولدتها حركة السرد الخاطف
والمكثف بدلالات بعضها مجنوء في كل النصوص التي زادت
عن المئة عنوان كلها ركزت على القضية الفلسطينية وما
يلحق بها من أوجاع، ومرارات يومية، كما في القصة التي
حملت عنواناً هو "حمضيات الوطن" في الصفحة التاسعة
من المجموعة ونقلت لغة القص الناضجة، التي استولدها
حدث اللقاء بين أبي جهاد اليافاوي وصديقه القنصل القادم
من الديار الأوروبية، والذي سكن عقله فكرة الآلة التي
تقود عصر الأوربيين كلهم نحو السماء السابعة، ثم رمت به
بعد قليل إلى الأرض التي بني عليها بيت الفلسطيني بجوار
البحر، ويحيط بالبيت ذلك القرميد الأرجواني، وقد شدت
القنصل الذاكرة إلى البحر باسترسالات العاشق القديم،
حيث توجد محطات وقطارات النوارس، ومكان الصيد فقال
محاوراً: ابن يافا "أبو جهاد" من أين تجلب هذه الروائح
التي ترش بها جدران البيت؟ فاهتزت مشاعر أبي جهاد
وبلع ريقه ثم أطلق من مسدس الشفتين: من عبق عناقيد
حمضيات الوطن... بهذه القفلة السحرية التي أنهى بها
القصة، وقد أسعفه اللسان وأسعدته أناقته الروحية، عبر
هذا التوليف الحامل لوعي جدلي تجاه قضية الوطن كله،
وليس البيت وحده، إنه المسدس المقاوم الذي سيحمي جدران
المنازل الفلسطينية كلها، وإلى جانبه الشاه السائلة دائماً
عن حركة الولادة لزم جديد في امتداد مغاير للعيش
وحياة لا يقوى عليها الموت والنسيان..

وفي النص الثاني الذي احتبس فيه الدلالات عبر
الايحائية التي تحملها النهاية المفاجئة في القصة القصيرة،
وهي دعوة الإنسان للتخلص من نسيانه حيث يفاجئ القاص
قارئة بجل آخر غير متوقع وهذا ما نقلته قصة "فقسة
الرعد" بالصفحة 41/ من المجموعة عينها وقد أشار
المؤلف فيها إلى تلك القبلة على جبين الفدائي الفلسطيني
الأول وهو السيد المسيح من قبل يهوذا الاسخريوطي، الذي
ادعى فيها المحبة للمسيح ولكنها سرعان ما تحولت إلى فقسة
رعد صاعقة عقرب دولاب جائزة السبق كما تقول القصة
ومن ثم مالت إلى غض السمع عن صرخة أرخميدس الجوفاء
الكاذبة والمضلة..

عيد العرب X

• د. علي دياب

يسرني أن أتحدث إليكم اليوم، باسم عدد من المؤسسات الداعية إلى هذا الاحتفال، التي تضم كلاً من:

اتحاد الكتاب العرب ومؤسسة القدس الدولية واللجنة الشعبية العربية السورية لدعم الشعب الفلسطيني وجامعة الأمة العربية ومؤسسة دار شمال للدراسات اللغوية والتاريخية وبمناسبة ذكرى جديدة على أسماعنا ألا وهي عيد العرب. فالشكر كله للدكتور بهجت قبيسي لأنه صاحب هذا الاقتراح.

تشهد بعض الأوساط الثقافية وعلى هامش العديد من الندوات والحوارات المفتوحة وأحياناً بعض الكتابات، نهجا يتسم بالعبثية وعدم الاتزان وبال هجوم الشرس الحاقد على العرب وتاريخهم وتراثهم، بقصد إلغاء هذا التاريخ منطلقين من مقولات استشراقية غير موضوعية، تنظر إلى العرب في أنهم مجموعة من البدو الرحل، قدموا من صحراء نجد، ليحتلوا العراق والشام في إطار الفتوحات الإسلامية بل ويقولون أحياناً: «الغزوات الإسلامية»، ومن ثم عد هؤلاء «الغزاة» هذه البلاد عربية وهي غير ذلك.

إننا نقول لهؤلاء: احتلت الوطن العربي إمبراطوريات ثلاث وهي: الفارسية والمقدونية والرومانية وكان ذلك عام ثمانية وثلاثين وخمسة قبل الميلاد / 538 ق. م / وجاءت الإمبراطورية المقدونية على أنقاض الفارسية، فأخضعوا بلاد الشام ومصر وبلاد الرافدين سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمئة قبل الميلاد / 333 ق. م / ومن بعدها الرومانية ومن ثم البيزنطية، لترث ما كان للرومانية في الوطن العربي، ثم بدأ النزاع الفارسي - البيزنطي على الأرض العربية فتقاسمها، وعلى الرغم من وجود هذه الإمبراطوريات الاستعمارية، لم تستطع إلغاء الدور الثقافي والحضاري العربي، الذي كان حضوره فاعلاً، إذ وصل أحد أبناء حمص وهو إيلاجيا بالوس إلى منصب الإمبراطور الروماني في مطلع القرن الثالث الميلادي، وفي منتصف القرن نفسه وصل أحد أبناء شهباء وهو فيليب العربي إلى المنصب إياه.

كانت مرحلة ما قبل الإسلام، مضمة بالروح العربية والتحررية نتيجة تنازع الإمبراطوريتين السابقتين لاحتلال الجزيرة العربية، بسبب موقعها الإستراتيجي وأهميتها التجارية في ذلك العصر.

بقي الوطن العربي بمشرقه ومغربه تحت سيطرة أهم إمبراطوريتين حتى القرن السابع الميلادي.

ففي عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب وبعد وفاة الرسول العربي بأربع سنوات، وصلت جيوش الفتح العربي إلى بلاد الشام، وانتصرت في معركتين من أهم المعارك في تاريخنا العربي، وهزمت كلاً من الإمبراطوريتين اللتين

كانتا تحكمان العالم يومها في معركة اليرموك بقيادة خالد بن الوليد والقادسية بقيادة سعد بن وقاص، وبعد مئة عام، يخوض الجيش العربي بقيادة عبد الرحمن الغافقي معركته في سهول توروبوابتية التي لا تبعد عن باريس قلب أوروبا، أكثر من مئتي كيلو متر، وبإجماع كل المؤرخين والباحثين من عرب ومستشرقين: أنه لو قيض للعرب الانتصار في هذه المعركة، لما كانت خارطة أوروبا على ما هي عليه اليوم. لا نقول ذلك من قبيل التغني بالأمجاد التاريخية، فهذا لا يفيدنا إذا لم نعمل في حاضرنا، ونبني أنفسنا، ونذكر تلك الأحداث التاريخية لتكون محرضاً لنا، وللأسف الشديد، أمتنا العربية اليوم تحقق الهزيمة تلو الأخرى، بسبب الأنظمة العربية التي تدور في فلك الهيمنة الأميركية والصهيونية، ولكن الأمل معقود على بعض الأنظمة العربية وفي مقدمها قطرنا الحبيب، التي اختارت طريق المقاومة ومن خلفها أبناء شعبنا العربي الشرفاء، على امتداد ساحة وطننا العربي الكبير.

إن الفتوحات العربية، التي قام بها عرب الجزيرة، لتخليص أبناء عمومته في العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا من الاستعمار الفارسي والبيزنطي، ما كان لها أن تتحقق لولا أن أغلبية أبناء هذه المناطق من العرب، وقدموا المساعدة للفاثحين العرب، لإعادة السيادة العربية إلى الوطن العربي.

عرب الجزيرة ليسوا بدواً رحلاً فهناك مدن مثل مكة ويثرب والطائف ومدن اليمن والبحرين والخليج، فهذه المدن كلها لها تجارتها وحضارتها.

أكد المؤرخون، أنه بسبب التغيرات المناخية، التي أدت إلى تصحر الكثير من المناطق، مثل الجزيرة العربية وبادية الشام، مما دفع بسكانها للإقامة في بلاد الرافدين والهلال الخصيب وشمال إفريقيا، فالإقامة في هذه المناطق انطلقت من الصحارى والبادية، وليس العكس، فمنذ القرن الرابع قبل الميلاد، وجد الأكاديون، وهم أقدم الأقوام العربية التي استقرت إلى جانب السومريين في بلاد الرافدين، بينما استقر الكنعانيون في مناطق كثيرة من بلاد الشام، وفي عام 1500 - 1200 ق.

م / هاجر الآراميون واستوطنوا بلاد الشام والرافدين، وفي عام 500 ق. م / هاجر الأنباط وحلوا في جنوب سورية وأسسوا عاصمتهم البتراء، وبعد ذلك قدم من اليمن كل من المناذرة والغساسنة وكان لكل منهم عاصمته؛ الحيرة وبصرى، وكذلك مملكة تدمر العربية التي قضى عليها الرومان سنة اثنتين وسبعين ومئتين للميلاد / 272 م / واستناداً إلى كل ذلك يمكننا القول: إن جيوش الفتح العربي خاضت حروباً قومية لتحرير العرب في العراق والشام ومصر وشمال إفريقيا من الفرس والبيزنطيين، ونعود لنرد على الموجة الشعبوية الحديثة:

إن الانتماء الوطني لا يستند إلى العرق

والدم، ولكنه انتماء حضاري بمظلتها الثقافية واللغوية واللغة العربية، تمثل ذلك الرابط الوطني والحضاري، فحضارتنا العربية العظيمة في مختلف ميادينها، لم يكن أصحابها جميعاً من العرق العربي، بل كان انتماءهم الحضاري والثقافي عربياً، وهذا ينطبق على كثيرين فنذكر على سبيل المثال لا الحصر: ابن سينا، الفارابي الخوارزمي، أبا نواس، بشار بن برد، سيبويه وغيرهم. وهذا لا يعني أن العلماء كلهم من أصول غير عربية بل هناك أعلام بارزون كانوا عرباً نسباً وثقافة فمنهم: ابن عربي - ابن رشد - ابن خلدون - ابن طفيل - ابن الخطيب - المعري - المتنبي - البحتري - الجاحظ وغيرهم، نقول لهؤلاء الشعوبيين: إن شعوبيتكم ليست طارئة وإنما عرفناها في العصر العباسي، ولكننا نجدها اليوم أكثر بشاعة وأشد خطراً. العروبة ليست عرقية، وعلينا التمييز كما قال السيد الرئيس غير مرة بين العروبة الرسمية التي تمثلها الأنظمة الرجعية وسياساتها التابعة، وبين العروبة باعتبارها هوية وانتماء، ولا بد من تكريس المفهوم الحضاري والثقافي للعروبة لاستيعاب بقية المكونات العرقية في الوطن العربي، ونجد كثيراً من الشخصيات التي شكلت رموزاً تاريخية عربية، فعلى سبيل المثال لا الحصر: صلاح الدين الأيوبي والدور الكبير الذي أداه في توحيد العرب والوقوف في وجه غزوات الفرنجة، ويحضرني أيضاً شخصيات مهمة في قطرنا، شغلت مواقع مهمة، إن كان في رئاسة الجمهورية، أو رئاسة الوزراء، أو وزراء وهم من أصول غير عربية، ومع ذلك فهم شخصيات عربية، وأذكر أيضاً الأستاذ محمد كرد علي، فهو أول رئيس لمجمع اللغة العربية - المجمع العلمي سابقاً - فجميعهم انصهر في الإطار الوطني العربي بغض النظر عن الأصول التي تحدرت منها هذه الشخصية أو تلك، ونعود لنخاطب من ينكرون علينا عروبتنا ويتغنون بسوريتهن، فنطلب منهم، أن يعودوا إلى ما أورده المؤرخون القدماء والمعاصرون، وإلى ما توصلت إليه الاكتشافات الأثرية، حول تلك المراحل التاريخية، فسورية هي مجال فخرينا واعتزازنا، وهي القلب من الأمة العربية، وبقدراً تكون أوفياء لقطرنا العربي السوري، تكون أوفياء لوطننا العربي والعكس صحيح.

وبذلك تكون أوفياء لقوميتنا العربية ذات المحتوى الإنساني التقدمي التحرري، البعيد عن التعصب والتطرف، وأن يكون الحوار العلمي والموضوعي والحضاري، هو ديدنا، وبذلك نعيد لأمتنا العربية توازنها متجاوزة ما تعيشه من انهزامية وتخلف، وتستعيد بعضاً من دورها وإسهامها في الحضارة الإنسانية.

X الكلمة التي ألقاها الدكتور علي دياب باسم اتحاد الكتاب العرب في عيد العرب.

توفيق طارق وأبو عبد الله الصغير

• سعد القاسم



توفيق طارق



أبو عبد الله الصغير



بوشار -
رقص العوالم

إيطالي. ففي كتاب داود القرم لثديين محاسب الصادر عام 1998 بتبني رسمي وعائلي، ويتقديم الرئيس اللبناني السابق شار حلو، ورد في الصفحة 152 إلى جانب لوحة الأمير بشير الشهابي الكبير حرفياً: «استعملت هذه اللوحة في عدة كتب ومراجع تاريخية. وقد نقلت عن لوحة بريشة رسام إيطالي». ولم يورد الكتاب اسم الرسام الإيطالي.

هامش:

× داود القرم (-1852 1930) يعتبر رائد فن التصوير الزيتي في لبنان، وهو أول من درس قواعده وأصوله. ولد في (غوسطا - كسروان) ولقبت موهبته الفنية وهو في العاشرة من عمره انتباه الآباء اليسوعيين الذين دعوه لتعليم الرسم في مدارسهم مقابل تعليمه اللغتين الفرنسية والإيطالية. وفي السادسة عشر من عمره سافر إلى روما لمتابعة تحصيله الفني حيث حقق نجاحات كثيرة في مجال رسم الوجوهيات (البورتريه)، فتم اعتماده كرسام للعائلة المالكة البلجيكية، كما رسم لوحة شهيرة للبابا (بيوس التاسع)، وتنتقل بعد ذلك بين لبنان وسورية وفلسطين ومصر والعراق وتركيا حيث صور عدداً من كبار الأعيان والحكام، إضافة إلى مجموعة كبيرة من اللوحات الكنسية. تتلمذ على يده (جبران خليل جبران). نال عدة أوسمة من لبنان ومصر وفرنسا والفاثيكان، والدولة العثمانية.

محمد لأصل اللوحة، فاستضاف في ندوة تلفزيونية، بصفته رئيس الدائرة الثقافية في التلفزيون حينذاك، كل من الدكتور عفيف البهنسي المدير العام للأثار والمتاحف، والفنان فيصل عجمي نقيب الفنون الجميلة، والدكتور عبد المنان شما عميد كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، ولم تترك المسألة أثراً بسبب حديث الدكتور البهنسي في بداية الندوة عن أن بعض لوحات توفيق طارق نُسخت عن لوحات فنانيين أوروبيين، وأن هذا الأمر كان شائعاً ويعد نوعاً من البراعة، وكذلك إشارة المشاركين إلى الاختلاف بين اللوحتين، ورأى صلاح الدين محمد ضرورة الإشارة إلى أصل اللوحة، حتى لا يساء لسمعة رائد الفن السوري. دون أن

يتطرق إلى أمر اللوحة بعد تلك الندوة في أي من كتاباته، وحتى تعقياً على مقالة وحيدة في صحيفة (الثورة) انتقدت إشارة موضوع كهذا في ندوة تلفزيونية يشاهدها جمهور واسع، ليس لمعظمه أي معرفة بالفن التشكيلي السوري. وفي عام 2011 أشار إلى اللوحة الناقد الدكتور عبد العزيز علون في سياق إعداده لكتاب عن توفيق طارق فقال: «سائر أساليب الفنانين الذين صوروا انتصارات نابليون بأسلوب فرح وجميل، فعناصره تبنى بقوة عبر كتل الشخص المعبرة باللوحة من حيث توزيعها والألوان التي تغطي بشكل مهم، كما أن هناك لوحات نسخها عن لوحات عالمية كلوحة (أبو عبد الله الصغير) آخر الخلفاء في الأندلس، وهي لوحة استشراق، نسخها توفيق طارق كسبيل للتدريب والتعبير عن قدراته، مصوراً المرأة المتجردة والخليفة السعيد بين ثلاث من جواريه، واستطاع توفيق طارق تقديمها بلمسات دقيقة وجميلة». وبقيت لوحة توفيق طارق في مكانها الذي تشغله كأول لوحة يلاقيها المشاهد في جناح الفن الحديث في المتحف الوطني بدمشق، منذ أن وضعها هناك عام 1950 الأستاذ حسن كمال مؤسس الجناح، شاهداً على براعة الفنان. ودليلاً على وعي القائمين على المتحف لأهمية اللوحة الفنية والتاريخية، خاصة أنه كان مأثوفاً في ذلك العصر قيام بعض كبار فناني بنسخ لوحات أجنبية، مثل قيام الفنان داود القرم × بنسخ لوحة الأمير بشير الشهابي الكبير عن لوحة لرسام

Boabdil (أبو عبدل)، بينما سماه أهل غرناطة الزغابي (أي المشؤوم أو التعييس). ووفقاً لرواية متداولة فقد بكى عندما ألقى النظر الأخيرة على غرناطة من مكان ما زال معروفاً باسم (زفرة العربي الأخيرة) فقالت له أمه (عائشة الحسرة) القول الشهير: «إيك مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه

مثل الرجال». ويبدو أن توفيق طارق اختار (رمزية) أبو عبد الله الصغير كملك ترتبط باسمه الهزيمة النهائية في الأندلس، ليدين من خلال هذه الرمزية فساد حكم ملوك الأندلس، وتفرقههم واقتتالهم فيما بينهم، وتغليبهم لمصالحهم الذاتية إلى حد التحالف مع أعدائهم. إذ لم يعرف عن أبي عبد الله الصغير استراقه في اللهب بخلاف أبيه الذي تسببت نزواته، ومن ثم زواجه من أسيرة إسبانية تصغره بسنوات كثيرة، في نشوب صراع دموي بين أخوته وأبنائه كان له الدور الأساس في إضعاف مملكة غرناطة. والغريب في الأمر أن بوشار لم يشر إلى الأندلس في عنوان لوحته، واختياره لتسمية (العوالم) بمعنى الراقصات يوحي بأن مكان حدث لوحته هو في مصر، حيث يشيع استخدام هذا التعبير، وليس في الأندلس، وخاصة أن معظم لوحات الاستشراق في ذلك الوقت اتجهت نحو الشرق العربي. لكنه في الوقت ذاته صور على الجدار فوق رأس صاحب المجلس عبارة (لا غالب إلا الله) وهي شعار أمراء بني الأحمر في الأندلس، المنتشر بوفرة على جدران وزوايا قصر الحمراء في (غرناطة). ويتعبير آخر: إن بوشار الذي لم يشر إلى أي شيء أندلسي في عنوان اللوحة، ضمن اللوحة ذاتها رمزاً أندلسياً لا لبس فيه، في حين أن توفيق طارق الذي أطلق على اللوحة اسم الملك الأندلسي الأخير، قد أزال هذا الرمز من لوحته.

كان الدكتور عفيف البهنسي أول من أشار إلى الأصول الغربية لبعض لوحات توفيق طارق. فقد جاء في كتابه (لمحة تاريخية عن الفن التشكيلي الحديث في سورية) الصادر عن وزارة الثقافة في دمشق، عام 1964 «لقد شهد توفيق طارق حين سفره إلى باريس مولد السريالية، إلا أنه لم يتأثر إلا باللوحات الرائعة التي زينت اللوفر لدولاكروا (-1798 1863) وجان انطوان غروس (1771-1835) وجوستاف كوربييه (1819-1877). بل لعله لم يكتثر لآثار الانطباعيين الذين أشاروا ضجة كبرى منذ العام 1874، ولذلك فإن لوحاته لم تخرج عن حدود الإخلاص للأصل، وغالباً ما يكون هذا الأصل لوحة ينسج بعضها، ويضيف إليها نسجاً لأصل آخر، ثم لا يجد في ذلك غصاصة، بل إنه ليعتز بقدرته على النقل والتقليد» أثيرت مسألة أصل لوحة (أبو عبد الله الصغير) أمام عامة الجمهور بعد ذلك بنحو ثلاثين سنة، وتحديداً في آذار (مارس) 1992 إثر اكتشاف الناقد صلاح الدين

تجمع الكتابات التي أُرخت للفن التشكيلي السوري الحديث، أو تحدثت عن بداياته، على اعتبار توفيق طارق رائداً لهذا الفن. فقد كان مؤسس تيار شارك فيه بعد ذلك عدد من الأسماء التي أسست للحياة التشكيلية السورية، أمثال: سعيد تحسين، وعبد الوهاب أبو السعود ومن ثم محمود جلال؛ وهو تيار عُني بشكل خاص بتصوير وقائع من التاريخ العربي، وخاصة المعارك التاريخية. وقد نما هذا الاتجاه بشكل واضح خلال فترة الانتداب الفرنسي حيث كان يعبر عن أحد أشكال المقاومة الوطنية لهذا الاحتلال. ومن المحتمل أن يكون غياب اللوحات التاريخية عن المجتمع العربي أحد الأسباب التي دفعت بالفنانين السوريين الذين زاروا أوروبا للقيام بإنجازها، بعدما شاهدوا اللوحات التاريخية التي تسجل المعارك والأحداث الهامة في متاحف الأوروبية. ويقال إن توفيق طارق قد حدث ابنته (زهرة مديحة) عن استيائه من اللوحات التي تصور انتصارات الفرنجة على العرب مما دفعه لإنجاز عدد من اللوحات التي تصور انتصارات العرب، ومنها لوحته الأشهر (معركة حطين) التي تستعيد بأسلوب كلاسيكي ذكرى معركة مفصلية في تاريخ الكفاح ضد الغزو الاستيطاني الغربي، تملك حضوراً استثنائياً في الوجدان الجمعي.

وفي إطار الموضوع التاريخي ذاته صور توفيق طارق لوحتين يمكن اعتبارهما مكملتين لرؤيته للتاريخ العربي، وموقفه منه، كانتا على درجة عالية من الأهمية سواء من جانب الموضوع، أو من جانب إظهار البراعة الفنية، والأولى لوحة (أبو عبد الله الصغير) والتي نسخها عن جزء من لوحة استشراقية للفنان الفرنسي بول لوي بوشار Paul Louis Bouchard وهو رسام من باريس، ولد عام 1853 وتوفي عام 1937. كان أستاذاً في الفن: جول- جوزيف لوفيفر Jules-Joseph Lefebvre وغوستاف بولانجيه Gustav Boulanger. وقد سافر كثيراً، ورسم المناظر الطبيعية، ومواضيع لها علاقة بالصور الوسطى في أوروبا، ثم حول اهتمامه كله للوحات الاستشراق. ولوحته التي نتحدث عنها تحمل عنوان Les Almées (العوالم) وفي المراجع الانكليزية ترجمت إلى Dance of Almee (رقص العالم)، وهي محفوظة في متحف (أورسيه) في باريس Musee d'Orsay وقد رسمها عام 1893 حين كان توفيق طارق في الثامنة عشر من عمره، ومن المحتمل أنه شاهدها مبكراً ونسخ عنها لوحته بعد أعوام قليلة من إنجازها، حيث قام بتغيير قطعها ومناخها اللوني وبعض تفاصيلها كي يؤكد حالة الترف واللو واللامبالاة التي يستغرق بها ملك غرناطة العربي، في وقت كانت دولته مهددة بخاطر الزوال، وهذا ما حصل فعلاً. فموضوع اللوحة هو أبو عبد الله محمد الثاني عشر (1460 - 1527) من بني نصر أو بني الأحمر، وهو آخر ملوك الأندلس المسلمين الملقب بالغالاب بالله. حكم غرناطة وعمره 25 عاماً بعد خلع أبيه (أبو الحسن علي بن سعد) وخوضه معارك مديدة معه. تتناقض الروايات التاريخية في تحديد أسبابها. بينما كانت الأندلس قد انكسرت من جهة الجنوب إلى مملكتين هما مملكتي مالقة وغرناطة. وقد استسلم للملكين الإسبانيين فرديناند (ملك قشتالة) وإيزابيلا (ملكة أراجون) يوم 2 كانون الثاني (يناير) 1492. وسماه الإسبان el chico (أي الصغير) و

د. حسن حميد

وليم ستايرون

شغلت مشكلة الزوجية، والعبيد، والعبودية، والاسترقاق، والظلم الذي وقع على الزوج في أمريكا الشمالية ذهن الأديب الأمريكي المعروف وليم ستايرون طويلاً، فقد استمع إلى حكايات محتشدة بالغرابة والدهشة والألم والفواجع من جدته حول ما عاناه العبيد الزوجية في الولايات المتحدة الأمريكية، وما عاشوه من ظلم في جميع الأمكنة والأزمنة، وحالات النفور والعداء التي قوبلوا بها من البيض الأمريكيين، وأشكال التفرقة العنصرية التي عاشتها أجيالاً في أمكنة السكن، والمدارس، والشوارع، والمطاعم، والملاعب، والحدائق، حتى بات المجتمع الأمريكي الأبيض ينظر إلى الزوج وكأنهم حيوانات ليس إلا.

بالطبع كانت هناك درجات من التفاوت بين أشكال العداء والنفور ما بين البيض والزوج في الشمال الأمريكي والجنوب الأمريكي، وبعض هذه الأشكال وصل إلى حد اقرار المجازر ما بين الطرفين، وبعضها وصل إلى حد استصدار القوانين والأنظمة التي تجرم أفعال وسلوكيات الزوج وتحد من تظاهراتها داخل المجتمع، الأمر الذي فاقم من مفاعيل مشكلة التمييز العنصري، فأوجد الحواجز ما بين الطرفين في الكثير من صور الحياة الاجتماعية، وخاصة أمكنة العمل، حيث حُرّم الزوج من العمل في بعض الوظائف، والدخول إلى بعض الأمكنة، والمشاركة في الأنشطة الاجتماعية والثقافية، والنظر إليهم بوصفهم خلقاً لم يبلغوا درجة كافية من التحضر والمدنية والرقي الثقافي.

لكل هذا فإن الكتب، والمؤلفات من روايات، وقصص، وأشعار، ومسرحيات، والأفلام السينمائية التي تعرضت لهذه المشكلة الفاضمة ما بين البيض والسود.. كانت كثيرة، وكثيرة جداً، واهتمام الكتاب والمبدعين بهذه القضية (التمييز العنصري) على أساس اللون، والعرق، والتفرقة، والنظرات الوهمية المسبقة كان كبيراً أيضاً، ولعل كتاب الكاتبة الأمريكية هاريت بيتشر ستاو (توخ العم توم) يعد واحداً من أهم الكتب الأوروبية والروائية التي عالجت مشكلة الزوجية وما عاناه زوج أمريكا وما يعاونه من آثار اجتماعية واقتصادية وثقافية حضرت عميقاً، وبألم شديد، في نفوسهم.

ولد وليم ستايرون سنة 1925 في مدينة نيويورك الساحلية في ولاية فرجينيا، لأسرة أمريكية جنوبية، متوسطة الحال ثقافياً ومادياً، وهو ابن لمهندس اختص في الشؤون البحرية، أي بما يتعلق بالموانئ تحديداً، عاش وليم سنوات طفولته الأولى والثانية، أي إلى حد الثانية عشرة من عمره، في كنف جدته لأبيه، التي قصّت عليه القصص والحكايات الكثيرة التي تتحدث عن الزوج وما يتعرضون إليه من أذيات ومكاره وظلم على أيدي البيض الذين ينظرون إليهم نظرة دونية تساوي بينهم وبين الحيوانات، ولا سيما الكلاب، أي نظرة تخرجهم من عالم الإنسان، وتلحقهم بعالم الحيوان، من خلال الإيمان بأن خلقوا من أجل خدمة البيض، وأن عقولهم قاصرة، وقدرتهم على التطور والتمدن ضعيفة جداً، وحبهم للعلم معدوم، وتفوقهم هو حديث عن المستحيلات.

في الثالثة عشرة من عمره توفيت جدة وليم ستايرون، ففقد هو نبعته الثقافية التي كانت تزوده بالحكايات والقصص والوقائع التاريخية، وخاصة ما كان يدور من أحداث شبه يومية بين البيض (الأسبادة)، والزوج (العبيد)، ولعل أشدها إيلاماً قتل الزوج بدم بارد، وكان هذا القتل حق من حقوق البيض على الزوج، وقد أشرت تلك القصص والحكايات كثيراً في نفسية وليم ستايرون، وشكلت الأسئلة الكبار التي دارت على حياته، ومنها: بأي ذنب يقتل الزوج؟! ولماذا يقتلون؟! وما السبيل لإنقاذهم من سطوة البيض، وسطوة القوانين التي سنّها من أجل المزيد من الهيمنة عليهم، ومن أجل ستايرون حزناً شديداً لفقد الجدة الممول الثقافى لموهبته الأدبية التي راحت تحاكي قصص جدته وحكاياتها، ولكن بشيء من التحوير والتطوير، حيث جعل قصصه لا تشير إلى بطولة الرجل الأمريكي الأبيض فقط، قدر إشارتها إلى الظلم والجور الواقعين على الرجل الأمريكي الزوجي، ومن ثم تطورها إلى تمكين الرجل الأمريكي الزوجي من لعب دور البطولة، والظفر بالانتصار على الرجل الأمريكي الأبيض لعدالة آمن بها من أن الزوجي لا يستحق القتل حين يقترب الأغلاط البسيطة، وأنه لا يستحق السجن والحرمان من الطعام والشراب حين تأخذه الفغلة عند قيامه ببعض الأعمال أو السهو عنها، ولا يستحق الجلد جهاراً نهاراً أمام الخلق لمجرد استغراقه في النوم صباحاً، كما أنه لا يستحق الموت والقتل بالرصاص إن صرح بأنه أحب فتاة بيضاء أو سعى إلى حبها، أو يتهنى لو أنها أحبته أو التفتت إليه.

الانتخابات الأمريكية وما بعد

د. سليم بركات

إن "ترامب" يعارض الخوض في حروب وصراعات بدون طائل، وبدون فائدة، وتتخلص فلسفته هذه في أن الدول التي تنشأ فيها مثل هذه الحروب، لا بد لها من أن تتحمل الأعباء، وأن تؤدي دوراً قيادياً في تحقيق الأمن لنفسها وللمناطق، وإذا أرادت تلك الدول الحماية الأمريكية فعليها أن تدفع مقابل هذه الحماية، الأمر الذي يؤكد أن الاهتمام الأمريكي بصراع الشرق الأوسط سيبقى مستمراً وفي إطار إدارة الأزمات والتناغم التفضي، وهذا يعني أن النزاعات العربية ستبقى حاضرة في الاعتبارات الأمريكية. أما فيما يخص "جون بايدن" فمن المرجح أن يتميز نهجه عن نهج "ترامب" في هذا المجال، من خلال المهادة، وبالأقل تدخلاً في شؤون دول المنطقة، أما فيما يخص الاتفاق النووي الإيراني الذي يعتبره "ترامب" أسوأ اتفاق، لأنه يضع إيران في طريق الحصول على سلاح نووي، فإن "جون بايدن" يعد من مؤيدي الخيار الدبلوماسي في التعامل مع هذا الملف، وسيدافع بدون شك عن هذا الاتفاق باعتباره أحد إنجازات السياسة الخارجية للرئيس السابق باراك أوباما، والجدير بالذكر أن "جوبايدن" كان قد صوت ضد اعتبار الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية عندما كان سيناتوراً، وهذا يعني أنه سيكون أكثر حماسة في الوصول إلى تسوية مع إيران، الأمر الذي يرفضه الرئيس "ترامب".

أما فيما يخص العلاقة مع الصين وهي بالنسبة لأمريكا من أكثر العلاقات الدولية تعقيداً وتشابكاً في هذا العصر، فإن "ترامب" قد اختار بخصوصها المواجهة، وبما يتسق مع شخصيته المتقلبة والمتقلبة على كافة الثوابت والاتفاقات الدولية، ومع ذلك يوجد إجماع بين الحزبين الديمقراطي والجمهوري على صعيد الواقع الأمريكي، بأولوية التعااطي السلمي مع الصين، لكن ثمة خلافات على هذا التعااطي، فإذا كان "ترامب" قد اختار المواجهة، والنهج الأكثر تشدداً من خلال تأكيد على أن انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية كان خطأ مميئاً، فإن هذا بالنسبة لـ "جون بايدن" أقل مواجهة، إذ سيعمل على تخفيف التوتر المحيط بالحرب التجارية مع الصين، وسيواصل المفاوضات بشأن الممارسات التجارية غير العادلة، كما يمكن أن يتجه نحو إزالة العقوبات عنها، ومن المحتمل أن تستمر إدارته على نهج إدارة "أوباما" التي عملت على إعادة التوازن في محور آسيا المتسم بالوفاق والتعاون، والذي ساهم "بايدن" نفسه بدور أساسي فيه عندما كان نائباً لأوباما.

فيما يخص القيادة العالمية والمنظمات الدولية، يعتقد "ترامب" أن الولايات المتحدة الأمريكية هي بلد محمي طبيعياً، ولذلك يدعو إلى الانكفاء وعدم الانخراط في الشؤون الدولية، وكل ما يهيمه التركيز على الداخل، انطلاقاً من قناعته أن أمريكا لا تحتاج إلى العالم، وإنما العالم يحتاج إليها، وهل بجانب الحقيقة إذا قلنا أن بهذا السوء من الفهم لـ "ترامب" كانت انعزالية أمريكا، كما كان تخليها عن التزاماتها تجاه العالم، الأمر الذي أدى إلى تراجع السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية في عهد "ترامب" وإلى تدهور المكانة العالمية لها، وإذا كان "ترامب" لا يفضل بأن يكون جزءاً من المبادرات متعددة الأطراف، كي لا تفقد الولايات المتحدة الأمريكية ميزة المساومة، فإن ما كان واضحاً هو انسحابه من المبادرات الدولية، مثل صفقة التجارة عبر المحيط الهادي، واتفاقية باريس للمناخ، واتفاق إيران النووي... انسحاب أدى إلى تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية، وفي المقابل إذا ما تم انتخاب "جو بايدن" فسيكون العمل على استعادة الدور القيادي الأمريكي، وعلى استعادة الشراكة مع الحلفاء، وإلى عدم تبني شعار أمريكا أولاً، لأن الهدف الأسمى سيكون لإدارته هو إثبات المصداقية والمكانة التي تليق بدولة عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية.

بقي أن نقول إن مزيداً من التراجع سينتظر دور الولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم، أكان ذلك في عهد "ترامب" أم كان ذلك في عهد "جون بايدن" وهذا لا يعني نهاية الدور العالمي للولايات المتحدة الأمريكية، وإنما يعني أفول مكانتها وقدراتها بأن تكون القوة القطبية رقم واحد لهذا العالم، عندها ستجد أن التعاون والتفاوض على مستوى العالم هو الأفضل من الابتعاد والمقاطعة.

الانتخابات الأمريكية القادمة والتي ستجري في 3 تشرين الثاني القادم، ستلقى بتأثيراتها على مجمل الأحداث الدولية وقاوعها، اتجاهاتها، إعلامها، علاقاتها... وما من شك أن لشخصية الرئيس المنتخب وتوجهاته أكان "ترامب، أم كان "بايدن" دوراً كبيراً في التأثير على مجريات هذه الأحداث، أكان ذلك داخل الولايات المتحدة الأمريكية، أم كان خارجها، بعد هذا التنافس القوي بين المرشحين، وبعد هذه الانتقادات الواسعة لسياسة "ترامب" الداخلية والخارجية، وطريقة إدارته الفاشلة التي قوضت مكانة أمريكا العالمية.

من الواضح أن سياسة "بايدن" الخارجية ستكون مختلفة عن سياسة "ترامب"، وإلى حد التناقض، وربما قلب "بايدن" معادلات "ترامب" السياسية رأساً على عقب فيما لو وصل إلى سدة رئاسة البيت الأبيض، الأمر الذي يجعل من السؤال التالي سؤالاً مشروعاً وهو ماذا يتوقع العالم من هذين المرشحين الرئيسيين فيما يخص مستقبل السياسة الخارجية الأمريكية، وكيف سيكون تعااطي كل منهما مع ملفاتها التي تنعكس في الوقت ذاته اختلاف الحزبين الجمهوري والديمقراطي وطريقة تعااطيها مع هذه السياسة، أكانت فيما يخص العلاقة مع أوروبا (الحليف) أم كانت مع الشرق الأوسط إيران، تركيا... أم كانت مع الصين.

بالنسبة لأوروبا الحليف فقد رفع "ترامب" منذ اليوم الأول لجيئته إلى السلطة شعار أمريكا أولاً، شعار حول الانحدار الأوروبي من دور الشريك إلى دور الخصم، ولدرجة أن هنالك من يقول إن "ترامب" لا يرفع شعار أمريكا أولاً، وإنما المال أولاً، الأمر الذي أدى إلى أن تتوقف أمريكا عن تشغيل قواعد عسكرية، أو نشر قوات على أرض غير أرضها، أو للدخول في تحالفات ترتب عليها تكاليف مالية، بما في ذلك تكاليف حلف الناتو التي أصبح من وجبة نظر "ترامب" قديماً وغير فعال، وهذا يعني أن على حلفاء أمريكا من الأوروبيين أن يتحملوا كامل أعباء الدفاع عن أنفسهم، إذا لم يدفعوا الأموال للولايات المتحدة الأمريكية، وسبقاً على هذا التحول عبر "ترامب" عن استعادته رفع العقوبات الاقتصادية التي فرضتها إدارة أوباما على روسيا بسبب سياستها تجاه أوكرانيا، وأعرب عن رغبته الاعتراف بضم جزيرة القرم إليها، أما بالنسبة للمرشح "جون بايدن" في حال فوزه فسيسعى إلى إعادة ترميم الجسور مع الأوروبيين، ومع حلف شمال الأطلسي بعد أن تصدعت هذه الجسور خلال ولاية "ترامب"، وسيكون ذلك بالعودة إلى الاتفاقات السابقة الموقعة بين أمريكا والأطراف الأوروبية، وفي طبيعتها تمثين المظلة الأمنية بين هذه الأطراف، وبالتالي سيعمل "بايدن" على تعزيز العلاقة مع حلفاء الولايات المتحدة وبخاصة مع حلف شمال الأطلسي الذي تعرض للانتكاسة في ظل رئاسة "ترامب" محاولاً إصلاح الضرر الذي لحق بالرؤية الأوروبية الأمريكية المشتركة حول العديد من القضايا الدولية، وفي طبيعتها الاتفاق النووي الإيراني 1+5.

أما فيما يتعلق بالشرق الأوسط فقد يكون هنالك تشابه إلى حد ما بين سياسة "ترامب" وسياسة "بايدن"، بمعنى أن لا ترتبط هذه السياسة بشخصية رئيس معين أو بدور قيادي معين وهذا يعني التقليل من الدور القيادي لقيادات هذه المنطقة، كما يعني الحضور الأمريكي في الملف الفلسطيني، بالمزيد من الدعم الأمريكي لإسرائيل لضم أجزاء من الأرض الفلسطينية المحتلة، حتى ولو كان هذا الضم سيبجعل "جو بايدن" في موقف صعب، لأن الموافقة عليه ستغضب الجناح اليساري للحزب الديمقراطي، وعلى الأرجح سيتبرك "بايدن" مسافة معينة للمناورة، متبنيًا مواقف دبلوماسية في إنجاز هذا الدعم، ليبقى الأمر متروكاً للإسرائيليين والفلسطينيين، كي يتخذوا قراراتهم بأنفسهم.

أما فيما يخص العلاقة مع تركيا فستبقى قضية خلاف بين "ترامب" و"بايدن"، بسبب علاقة ترامب الوثيقة مع أردوغان، والتي تجلت بعدم فرض العقوبات على تركيا عندما اشترت نظام الصواريخ الروسي S400 مكتفياً بالتوبيخ المباشر للسلطات التركية. أما بالنسبة لـ "جو بايدن" في حال انتخابه، فإنه سيدعم القرار الذي سبق واعترف فيه بالإبادة الجماعية للأرمن، وسيحافظ على انتقاده لقرار "ترامب" بسحب القوات الأمريكية من سورية، والذي سمح بالتوغل التركي في الأراضي السورية محافظاً على قوله: إن "ترامب" قد باع الأكراد في سورية" أما فيما يخص حروب وصراعات الشرق الأوسط، فيعتبر "ترامب" أن القرار بالذهاب للحرب في الشرق الأوسط على نمط الحرب على العراق عام 2003 لن يتكرر، لأن قرار هذه الحرب من وجهة نظره، يعد الأسوأ في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، ولن يتكرر، بمعنى أن أمريكا ليست على استعداد للقيام بدور الشرطي في الشرق الأوسط تحت أي ذريعة كانت، وليست على استعداد للتضحية بجنودها في أي جانب خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

رسائل النذر ترانيم الغياب

• رشا الصالح

وهكذا دوماً لأن للحروب لعنة خفية يبطن ظاهرها
ويزين عروقها عوسج الأحران، وفاقة القطيعة وتسمع
أصوات طبول الضراق يقرع صداها على تفاصيل أوتار
الروح وأجساد الأيام، لذلك ما زلنا في خضم هذه البلاد
المحتوم عليها العيش ضمن سياج لهب الزناد وتقاسيمه
نيراناً وذعراً في كل الأنحاء، وتلتهم بشيق الخوف
وازدواجية الظلام التراب، الهواء، العشق، الشجر،
الكلمات، ونذر الحلم في أعماق الفؤاد.

إذا لأنها الحرب علينا أن نحصي ونحصى أعواماً لا
تقاس من مخطط الأمان من الحاجة والصراع..
لأنها الحرب قل لي كيف أخط لك عنها وكيف أنبئ
عن اجتياحها في يوميات صارت كما للجميع ليست في
الحسبان..

قل لي كيف أرسما بحبر المداد لك، وأنا ونحن جميعاً
نقيم كما نقيم على مرفق الجيرة والسهاد..

فكلما شرعت بالبدء بالسرد لك عنها بينتني موجة
جنون من ضحك هستيري لم أعد أزفر سواه علينا وعلى
كل هذه الأروقة التي لا أطالها إلا بهذا الضحك الساخر
من كل المجريات، علني أخفف من وطأة الحدث الجليل
الواقع منها علي وعليك وعلى الأوطان،

علني أحصي حاجاتنا الضرورية في كل الدقائق
والساعات والتي لم تعد مالا، لتلبية وسد فاه الرغبات،
بل صارت قبوراً بيضاء، وأوراق نعي نظامي للأكضان،
ومراسيم حزن تقام صلواته قداساً من رحمة لا يشمت
بنا ويحالتنا الأعداء .

نحن لم نعد بهذا الوقت بحاجة لنشيء، أكثر من هذا
وبعضاً من الماء الرقراق الذي سيسقي بياستنا، ويروي
ظماناً من بعد كل هذا السعير، ينبت الاس والفار بذاراً
من أمل فوق نهاياتنا ويفتح فوق كل قبر حديقة زهر
يفوح عطرها ولادة لفجر جديد بعيد عن مخاضات الدم
وقواهل الاجتياح

لأنها الحرب قل لي كيف سأحذرك عن شيخوخة
الوقت؟ كيف صرنا ضيقين ضيقين جداً بحجم رمل هارب
من ارتطام ثقل فوقه؟ ضيقون عكس ما كنا في اتساع
المدى، نلتهم على الحلم، ننبئ للعشق ونستفيق بلا آه ولا
إنذار

كيف أخبرك عن ارتجافة أهدابنا كل تلويحة، عن
الهاث عند كل نداء .

عن استغاثات بلا مجيب، عن بكاء لم يعد يشبه طعم
البكاء؟

نعم يا حبيبي لم نعد نبكي على شيء إلا علينا صار
طعم الدمع دم ودخان،

صار حزننا بحجم إله لا يرى، تناجيه صباحاً مساءً .
برحمة تقطع ورد هذا الوجع عنا وترفع هذا الابتلاء .

لا أدري كيف سارسل لك وأنا التي يجتاحني موج
عظيم من حنين سرمدى وهيام لا يعرف لوصولك انتهاء؟

كيف سأخبرك عن طفولة بلا طفولة، عن مذايح
الكلمات، عن زنايق بعمر الشهد تصلب أول الصفحة
بالفقر، وتتشرد باغتراب، عن برد بحجم الصقيع يحيط

خصر القلب، ويجمد كل يد عون تحاول منا الاقتراب عن
نزيف ليس بالنزيف، عن طاعون المال، عن طاغوت اللحم
المنذر هباء، عن حطام العيد، عن مراجيح للفرح سكرت
أبوابها بشمع المهانة، عن ذل لوطن كان خيرة الأعداء .

كيف لي قلبي ان أصف صحتي في ذهول النيام؟ كيف
صارت عارا لشرف في حرمة الفساد.

كيف والشوق والتوق زادي لكل تحد يعمر وطني
الشمس ويوقف اسوداد المداد .

عن أماني بكل فجر يستفيق لنا نكون نحن ضوءه ويومه
وفخره ووعده، يستنشقتنا عطره في تصارييف الأبعاد.

أيها البعيد القريب عني وعنه، أنت الرحيم ونحن في
انتظار زندق القدوس وتكون به أمل اليوم وغداً لوطن
تغدو فيه الحروب آخرها آخر الموت وأولها فرحة كل
حين بوعدك المعمر فينا نور الاتقاد .

حوار مع الشاعر حسين الحموي - ٢ .

• رؤى حيدر



فيها وجهي، فكلها تشكل تقاسيم هذا الوجه
وعلاماته الفارقة في زمن الخسوف والكسوف
وانتشار الطحالب والرخويات.

× السؤال السابع: تحدثت عن الموت بأسلوب
واقعي ووصف سردي أخذ في قصيدة «وردة
المجرات».. ما هو تأثير فلسفتك ورؤيتك لمفهوم
الموت على إضفاء اللمسة الحزينة على شعرك
وأديك؟

× حسين الحموي: الموت لغز حياتي كوني،
وهو حقيقة أزلية منذ بداية الخلق حتى قيام
الساعة. لذلك في اعتقادي أن هذا اللغز الكوني
يشكل بحد ذاته الفلسفة الحقيقية لهذا الكون
ولكل من يعيش على هذا الكوكب.. فنحن هنا
أمام معادلة رياضية فالأبيض يقابله الأسود،
والنهار يقابله الليل، أما يقابله الموت.. ولكن
أين تكمن جمالية الفلسفة الوجودية في الموت؟
إنها في هذا اللغز غير محدد الهوية، وماهيته
مجهولة زمنياً ومكانياً.. أنت موجود وغير
موجود.. أنت كائن حي وأنت ميت في الوقت
ذاته. لا تعرف اللحظة التي يتوقف فيها هذا
القلب عن النبض، ولا تعرف اللحظة التي
تغادر فيها هذا العالم إلى كوكب آخر. بحث
الكثير من الفلاسفة ورجال الدين والعلماء
وأجروا دراسات حول الفضاء والكواكب
مؤكدين وجود كواكب أخرى، لكن هذا الوجود
الأخر مازال مجهولاً في القسم الأعظم منه.

× السؤال الثامن: «النوستالجيا» هي حالة
الحنين إلى الماضي. أخبرنا عن أبرز وألمع الصور
التي تلهب ذاكرتك الحاضرة؟

× حسين الحموي: لدى الشاعر دائماً ما
يسمى «فلاش باك» حيث تحمله ذاكرته إلى
الماضي وتعطيه دفعا، كما قد تعطيه شيئا
من القوة الإبداعية، فلا بد من العودة إلى
الماضي بكل إيجابياته وسلبياته للاستفادة
وللقيام بعمليات التقويم والتقييم الذاتية
وهذا الماضي فيه من الذكريات الفارقة ما فيه،
وغالباً ما يشدني الحنين إليه بقوة ولا سيما
أيام الصبا والشباب في مسقط رأسي سلمية.

× السؤال التاسع: لكل مبدع طقوس خاصة
به.. ماهي طقوس الشاعر حسين الحموي
الذاتية والروحية؟

× حسين الحموي: أنا إنسان بسيط أعيش
حياة الناس البسطاء في الحالات العادية،
واعترف أنني ذو مزاج خاص، هذا المزاج
الخاص قد يفسد علي الاستمتاع بالجمال
والفرح وحتى الحلم. لا أقوم بتأدية طقوس
يومية سوى الرياضة الصباحية وشرب المنة،
وإذا كان مزاجي ليس مؤثراً اكتفي باحتساء
المنة، لكنني استثنى من ذلك الحالة الإبداعية
التي تسبق كتابة القصيدة، فهي حالة خاصة
جداً تبدأ بفترة زمنية قصيرة من الصمت
والشعور الداخلي بهواجس كثيرة تتراحم
في مخيلتي ورغبة جامحة في الكتابة، ولا بد
من الاعتراف أن كتابة القصيدة مختلف عن
طقس الكتابات النظرية من مقال أو دراسة
أو غيرها، ذلك أن الكتابات النظرية أصنع لها

× السؤال الرابع: يقول بيلينسيكي:
«إن الشعر يمثل في ذاته كل عناصر
الفنون الأخرى» من هذا القول أتساءل:
إن قصيدة «تجليات» كانت نموذجاً
تشكيلياً بديعاً.. هل ترى نفسك تسك
قلماً أم ريشة؟ وما هو الرابط بين فن
الرسم وفن الشعر من وجهة نظرك؟

× حسين الحموي: الرسم بالكلمات

كالرسم بالألوان، فهذا يعبر عن الجواني عند
الشاعر الحقيقي عبر الحروف والكلمات،
وذاك يعبر عن الجواني عند الفنان التشكيلي
ولكن باستخدام الخطوط والألوان، فالشاعر
هو فنان تشكيلي والفنان التشكيلي هو شاعر.

والقصيدة التشكيلية هي عبارة عن مسافات
ومساحات زمنية ومكانية.. فترسم أنامل
الفنان التشكيلي عدداً من الطيور المهاجرة
في السماء وسحباً بيضاء وسوداء وجبالاً
وأناهاراً وأشجاراً بألوان مختلفة ويضيف بعض
المساحات الرمادية وكأنه يوحي بما يريد

إيصاله للمتلقى إبعاءً. وكذلك حال الشاعر
يوحي بالحروف ما يتمثل في داخله من مشاعر،
فمن هذا المنطلق.. إن فن الرسم بالألوان وفن
الرسم بالكلمات متقابلان إلى حد كبير حيث
يتقاطعان في التعبير عن الأحاسيس والمشاعر
الإنسانية الذاتية والموضوعية ويتشابهان
في حياكة الواقع والطبيعة والتقييم والحب
والمقاومة.

× السؤال الخامس: في مقطع شعري من
قصيدتك «حجر يمتشق العاصفة» فاض
وجدانك بالأحاسيس المترعة بهواجس نفسك،
مما أصغ قصائدك بمسحة خطابية.. حدثنا
عن العوامل والظروف في تلك المرحلة الزمنية
التي استلهمت ابداعك الفني من مداميكها
وتأثيرها للاتجاه بك إلى أسلوبك الخطابي؟

× حسين الحموي: لعل جسامة الأحداث
والظروف الصعبة والنكسات المتتالية التي
تعيشها الأمة تدفع المبدع على اختلاف النوع
الإبداعي الذي ينتجه وبخاصة الشاعر
المصطبغ المشاعر، إلى كتابة الشعر الوطني
والقومي على أمل إحداث هزة سريعة للوجدان
الشعبي ولا سيما في صميم الأحداث التي
يكون الخطاب الشعري فيه من النداء المباشر
تصريحاً وليس تلميحاً، وربما تأتي قصيدة
«حجر يمتشق العاصفة» في هذا السياق.

× السؤال السادس: ما هي أكثر قصائدك
قرباً إلى قلبك؟ وهل تطابقت مع ذوق الجمهور
أم أنها لم تلق ذات الصدى لديه؟

× حسين الحموي: إن جميع ما أكتبه من
شعر أو نثر يعبر عني وعن قناعاتي ومواقفي،
وإذا ما وجد لدي نص شعري أو نثري يدور
في فلك آخر، فقد تكون ثمة أحداث وظروف
خارجة عن إرادتي الذاتية، وهنا استطع
القول بارتياح، إنني لم أسمح لظني أن يبتعد
عني أو يغرد بعيداً عن سربي، وإن ما أؤمن به
من أفكار وقناعات عبرت عنها كلها في إبداع،
لكن بالرغم من صعوبة الحفاظ على الحدود
الضيقة بين التصور والحلم والمواقف من جهة،
وبين القناعات من جهة أخرى، فقد ظلت معظم

المواقف والقناعات إلى جانب الحد الأدنى
الذي لا يمكن الابتعاد عنه مهما كانت المبررات،
وهذا له ضربيته الحياتية ليست على الذات
الشعرية فحسب بل على كل من يجاور ويعيش
تلك الذات، والأهم من كل هذا وذاك أنني
راض عن نفسي ومقتنع أنني كنت على الأغلب
الأعم من حياتي منسجماً مع نفسي ومتصالحاً
معها، وكل ما أبدعته شعراً أو نثراً وأنا ولدي
الكثير من القصائد التي لم تأخذ طريقها

إلى النشر، لكن أشعر أنها تنبثق من الداخل
من أعماق وجداني، كانت أشعتها مركونة في
خلايا روحي فأطلقت لها العنان كي تصل على
الورق وأبقيتها بخط اليد في الأدرج المغلقة..
لن أشير بالأصابع إلى تلك القصائد التي أرى

ابن سينا الشيخ الرئيس ظاهرة فكرية عظيمة

(٣٧٠ - ٤٢٧ هـ) (٩٨٠ - ١٠٣٧ م)

• د. مصطفى العبد الله الكفري



ولد أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، الملقب بالشيخ الرئيس، منذ حوالي ألف عام في قرية (أفشنة) قرب بخارى الفارسية سنة 980 م. (1) كانت أمه من أهل القرية بينما جاء أبوه من بلخ (أفغانستان حالياً). ثم انتقل مع أهله إلى بخارى (أوزبكستان حالياً)، ليقوم أبوه بإدارة بعض الأعمال المائية لسلطان موح بن منصور الساماني. ختم ابن سينا القرآن وهو ابن عشر سنين، وتعمق في العلوم المتنوعة من فقه وأدب وفلسفة وطب. واستطاع ابن سينا في الثامنة عشر من عمره أن يعالج السلطان نوح بن منصور من مرض حار فيه الأطباء، ففتح له السلطان مكتبته الغنية مكافأة له. وبقي في بخارى حتى

سن العشرين ثم انتقل إلى خوارزم حيث مكث هناك عشر سنوات (392 - 402 هـ)، ومنها انتقل إلى جرجان ثم إلى الري. وبعد ذلك انتقل إلى همدان وأقام فيها تسع سنوات، ومن ثم دخل في خدمة علاء الدولة بأصفهان. وهكذا أمضى حياته متنقلاً حتى وفاته في همدان، في شهر شعبان سنة (427 هـ 1037 م). ويذكر أنه أصيب بداء (القولنج) في آخر حياته. وحينما أحس بدنو أجله، اغتسل وتاب وتصدق وأعتق عبده. (2)

(وكان ابن سينا عالماً وفيلسوفاً وطبيباً وشاعراً، ولُقّب بالشيخ الرئيس والعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي، كما عرف بأمير الأطباء وأرسطو الإسلام، وكان سابقاً لعصره في مجالات فكرية عديدة، ولم يصرفه اشتغاله بالعلم عن المشاركة في الحياة العامة في عصره؛ فقد تعايش مع مشكلات مجتمعه، وتفاعل مع ما يموج به من اتجاهات فكرية، وشارك في صنع نهضته العلمية والحضارية، وقد أثارت شهرة ابن سينا ومكانته العلمية حسد بعض معاصريه وغيرتهم عليه، ووجدوا في نزعتهم العقلية وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلاً للطعن عليه واتهامه بالإلحاد والزندقة، ولكنه كان يرد عليهم بقوله: إيماني بالله لا يتزعزع؛ فلو كنت كافراً، فليس ثمة مسلم حقيقي واحد على ظهر الأرض). (3)

تقوم النظريات العلمية لابن سينا على أساسين: نظري وعملي، يتكون الجزء النظري من الطبيعة والرياضيات والميتافيزيقيا، وأما الجزء العملي فيتكون من الاقتصاد والسياسة. ولهذه العلوم الأصلية فروع وتوابع، فالطب مثلاً من توابع العلم الطبيعي، والموسيقى وعلم الهيئة من فروع العلم الرياضي. ومن أهم العلوم الأصلية: العلوم الأولية، وتشتمل على كتب المنطق، وما يلحق بها من كتب اللغة والشعر.

العلوم النظرية، وتشتمل على كتب العلم الكلي، والعلم الإلهي، والعلم الرياضي، والعلم الطبيعي. العلوم العملية، وتشتمل على كتب الأخلاق، وتديبير المنزل، وتديبير المدينة، والتشريع.

مؤلفات ابن سينا:

ألف ابن سينا حوالي 450 كتاباً ودراسة في مواضيع مختلفة، ركز فيها على الفلسفة والطب. ويعد ابن سينا من أول من كتب في مجال الطب في العالم الإسلامي، حيث اتبع أسلوب هيبوكراتس وجالينوس ومنهجهما. ترك لنا مؤلفات كثيرة شملت مختلف حقول المعرفة في عصره كالفلسفة والرياضيات والطبيعات والطب والموسيقى، أهمها: **كتب الفلسفة:**

أهم مؤلفات ابن سينا في الفلسفة: الإشارات والتنبيهات، الشفاء، النجاة.

كتب الرياضيات:

أهم مؤلفات ابن سينا في مجال الرياضيات: رسالة الزاوية، ومختصر إقليدس، ومختصر الارتباطي، ومختصر علم الهيئة، ومختصر المجسطي، ورسالة في بيان علة قيام الأرض في وسط السماء. طبعت في (مجموع جامع البدائع)، بالقاهرة سنة 1917.

كتب الطبيعيات:

جمعت طبيعيات ابن سينا في الشفاء والنجاة والإشارات، وما نجده في خزائن الكتب من الرسائل ليس سوى تكملة لما جاء في هذه الكتب. ومن هذه الرسائل: رسالة في إبطال أحكام النجوم، ورسالة في الأجرام العلوية وأسباب البرق والرعد، ورسالة في الفضاء، ورسالة

في النبات والحيوان.

كتب الطب والصيدلة:

أشهر كتب ابن سينا الطبية: كتاب (القانون)، ترجم وطبع عدة مرات وظل يُدرس في جامعات أوروبا حتى أواخر القرن التاسع عشر. (لم يشتهر كتاب القانون بالطب فقط بل اشتهر ككتاب فلسفي أيضاً، ويقوم على تجارب بعض الأطباء اليونانيين خلال عصور الإمبراطورية الرومانية، وبعض الأعمال العربية وملاحظاته الإكلينيكية، وقد استعمل هذا الكتاب في أرجاء العالم الإسلامي وأوروبا كمرجع أول للطب ولضرة جاوزت ستة قرون، كانت أول ترجمة له إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي وأعيدت طباعته حوالي خمس عشرة مرة قبل عام 1500 م ثم أعيدت ترجمته إلى اللاتينية 1527م، ومن المعروف أنه درس في جامعات مون بليه ولوفان عام 650 م وفي فرنسا. وكان ثاني كتابا في تاريخ الطباعة يطبع باللغة العربية عام 1593 م). (4) ومن أهم مؤلفاته كتاب الشفاء وكتاب القانون في الطب.

خصص كتاب القانون للشيخ الرئيس ابن سينا جزءاً لموضوع الصيدلة، بالرغم من أن ذلك العصر لم يعرف بعد الصيدلة كعلم مستقل. حيث صنّف العقاقير تبعاً لونها وطعمها ورائحتها وتأثيرها، ففي الطعم فقط جعلها ثمانى مجموعات، وبالتأثير صنّفها إلى 41 مجموعة. كما ذكر الأخطاء التي يمكن أن تحدث أثناء تحضير العقاقير، والتغيرات التي تنتج عن طبخها وتسخينها. ثم شرح طرق تحضيرها بمنهاج صحيح، بواسطة الطحن والعجن والتكسير والتسخين وغيرها.

ومن كتبه الطبية أيضاً كتاب الأدوية القلبية، وكتاب دفع المضار الكلية عن الأبدان الإنسانية، وكتاب القولنج، ورسالة في سياسة البدن فضائل الشراب، ورسالة في تشريح الأعضاء، ورسالة في الفصد، ورسالة في الأغذية والأدوية. ولابن سينا أراجيز طبية عديدة منها: أرجوزة في التشريح، وأرجوزة التجربات في الطب، وأرجوزة (الألفية الطبية) المشهورة التي ترجمت وطبعت مرات عديدة.

(وكان ابن سينا سابقاً لعصره في كثير من ملاحظاته الطبية الدقيقة، فقد درس الاضطرابات العصبية والعوامل النفسية والعقلية كالخوف والحزن والقلق والفرح وغيرها، وأشار إلى أن لها تأثيراً كبيراً في أعضاء الجسم ووظائفها، كما استطاع معرفة بعض الحقائق النفسية والمرضية عن طريق التحليل النفسي، وكان يلجأ في بعض الأحيان إلى الأساليب النفسية في معالجة مرضاه). (5)

كتب الرصد وعلم الفلك:

كان لابن سينا ريادات في مجال علم الفلك حيث استطاع أن يرصد مرور كوكب الزهرة عبر دائرة قرص الشمس بالعين المجردة في يوم (10 جمادى الآخرة 423 هـ الموافق 24 مايو 1032م)، وهو ما أقره الفلكي الإنجليزي «جيرميروسكس» في القرن السابع عشر. كما تعمق ابن سينا في علم الهيئة، ووضع في مجال الرصد آلات لم يسبق إليها، وله في ذلك عدد من المؤلفات القيمة، مثل: كتاب الأرصاء الكلية، رسالة الآلة، الرصدية، كتاب الأجرام السماوية، كتاب في كيفية الرصد ومطابقته للعلم الطبيعي، مقالة في هيئة الأرض من السماء وكونها في الوسط، كتاب إبطال أحكام النجوم.

كتب الموسيقى:

من أشهر مؤلفات ابن سينا الموسيقية: مقالة جوامع علم الموسيقى، مقالة الموسيقى، مقالة في الموسيقى.

(كان ابن سينا دائماً يتشد الكمال، لقد تعلم وأتقن الفارسية والعربية، وحفظ القرآن، وهو في العاشرة من عمره، علق أحد العلماء على مقدرة ابن سينا في اللغة العربية في جلسة حضرها الأمير، وأبدي فيها ابن سينا رأيه في كلمة عربية، فكان رأي العالم أنه بالرغم من حكمة ابن سينا الواسعة في مجالات كثيرة إلا أنه ليس متمكناً من اللغة العربية لدرجة تمكنه من أن يعطي ما رآه في خصائصها، وبعد إبداء الملاحظة كرس ابن سينا ثلاث سنوات من عمره لدراسة اللغة العربية بنحوها وآدابها، وبعث لإحضار الكتب من مناطق نائية جداً، ثم قام بعد ذلك بكتابة ثلاث قصائد باللغة

العربية مستعملاً كلمات قديمة ونادرة، وكذلك ثلاث مقالات كل منها بأسلوب تقليدي مختلف، ثم جمعها في كتاب واحد، ولكي يبدو الكتاب قديماً فقد غمره في التراب ثم قدمه للأمير مدعياً أنه عثر عليه في رحلة صيد وأنه لا يفهمه تماماً، ثم قدمه للأمير بناء على طلب ابن سينا إلى نفس العالم الذي أهانه من قبل حتى يقوم بشرحه، وشعر العالم بحرج شديد بعد أن أدرك أن هذه التحفة النادرة كانت نتاج ملاحظته منذ ثلاث سنوات. اشتهر ابن سينا بمظهره البالغ الحسن، وسيرة حياته تبدو كأنها من أدب المغامرات، وعمل عند كل أمير، أو ملك، أو حاكم كموسيقى، ووزير، ورفيق كذلك). (6)

اكتشف ابن سينا الصلة الوثيقة بين الحالة النفسية للمريض والمرض العضوي الذي يعاني منه، والقصة التالية توضح لنا مدى براعة عالماً الجليل في هذا المجال: (استدعي ابن سينا للكشف على مريض، وبعد فحصه فحصاً دقيقاً تأكد أنه لا يعاني من مرض عضوي ولكن من حالة نفسية، وعندئذ استدعى رجلاً يعرف أحياء المدينة وشوارعها خبير المعرفة، وأخذ في سرد أسماء الأطباء اسماً اسماً بينما يضع ابن سينا إصبعه على رصغ المريض ويحس نبضه ويلحظ التغيرات على وجهه، حيث لاحظ عليه التأثير عند ذكر اسم حي معين، وعندئذ بدأ في ذكر شوارع ذلك الحي حتى اكتشف الشارع الذي تأثر بذكره هذا المريض، وهكذا حتى وصل إلى ذكر البيوت وساكنيها فرداً فرداً، حتى ذكر اسم فتاة معينة، فعرف إن الشاب يهاها، وكان العلاج هو الزواج وتم بعده الشفاء). (7)

تقدير واحترام العلماء والباحثين للشيخ الرئيس:

حظي ابن سينا بتقدير واحترام العلماء والباحثين في مختلف أنحاء العالم وعلى مر العصور وقال عنه جورج سارتون: (إن ابن سينا ظاهرة فكرية عظيمة ربما لا نجد من يساويه في ذكائه أو نشاطه الإنتاجي.. إن فكر ابن سينا يمثل المثل الأعلى للفلسفة في القرون الوسطى). ويقول دي بور: (كان تأثير ابن سينا في الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى عظيم الشأن، واعتبر في المقام كآرسطو). ويصفه هوليارد بقوله: (إن علماء أوربا يصفون «أبا علي» بأنه أرسطو طاليس العرب، ولا ريب في أنه عالم فاق غيره في علم الطب وعلم طبقات الأرض، وكان من عادته إذا استعصت عليه مسألة علمية أن يذهب إلى المسجد لأداء الصلاة، ثم يعود إلى المسألة بعد الصلاة بادناً من جديد؛ فيوفق في حلها). ولا تزال صورة ابن سينا تزين قاعات كلية الطب بجامعة باريس حتى الآن؛ تقديراً لعلمه واعترافاً بفضلته وسبقته. (8)

قال عنه جورج سارتون: أنه أشهر عالم في الإسلام.

أثارت شهرة ابن سينا ومكانته العلمية الرفيعة حسد بعض معاصريه وغيرتهم منه، ووجدوا في نزعتهم العقلية وآرائه الجديدة في الطب والعلوم والفلسفة مدخلاً للطعن بعلمه واتهامه بالإلحاد والزندقة. لكنه كان يرد عليهم دائماً بقوله: يعد ابن سينا فيلسوفاً، طبيباً وعالماً، ومن أهم رجال الفكر في الإسلام ومن أشهر فلاسفة الشرق وأطبائه. سماه الغربيون بأمير الأطباء.

المراجع:

- (1) يقول سمير حلبي: ولد ابن سينا في «خرميش» إحدى قرى «بخارى» في (شهر صفر 370 هـ = أغسطس / آب 980 م).
- (2) أنظر، <http://www.alnoor.info/scientists/29.asp>.
- (3) سمير حلبي، الشيخ الرئيس ابن سينا.. المعلم الثالث.
- (4) أنظر، <http://activities.almawakeb.sch.ae:82/hisclub2/olama/Ibin%20Seena.htm>.
- (5) سمير حلبي، الشيخ الرئيس ابن سينا.. المعلم الثالث.
- (6) أنظر، <http://activities.almawakeb.sch.ae:82/hisclub2/olama/Ibin%20Seena.htm>.
- (7) المصدر السابق.
- (8) سمير حلبي، الشيخ الرئيس ابن سينا.. المعلم الثالث.

نوافذ مطافة

• منير خلف

حارث الريح

إلى الشاعر الزاحل محمود درويش في قصيدته المهداة إلى الأديب سليم بركات: (ليس للكردى إلا الريح)

وللسوري
أن يربث الغمام
مُلبياً عطش الغياب
وحاجة للريح
في غسق الجراح.

وللسوري
أن يحيا بلا معنى،
وأن يجد الكلام مخالفاً
لمراد معنى
سوف يأخذه
إلى غايات حزن
في دهاليز النواح.

وللكردى ربح
قالها درويش يوماً
واستراح وما استرخنا،
قالها أملاً بأن الباب
يمكث خلفه ذاك الصباح
وللحسكي (1) مثلي
أن يكون وأن يعيش

وأن يموت
ويغلق الباب القديم
على الريح

طعم الحياة

لا طعم للحياة في بلادنا
ولم يعد
هناك ما يمكن أن نسمي: الأمل

لا حلم بعد اليوم
إلا ما بناه الوهم في اليدين
من أكذوبة منسوبة إلى اليدين
صدقته في صباح غائم
غرارة المقل

وربما يجيء يوماً
حاملاً حقائب الرحيل
دون أن يعلمنا بأنه مسافر
قد تعبت من خطوه دروبنا
في شهرها العسل.

نعم نعم
أخبركم بأنهم
قد قتلوا الحياة
منذ جائها
واعتقلوا من يائها الأمل

في الثلج

في الثلج
نحلم أن تكون كحاله
صفة تلائم نفسها
متعلقين بحالة لا تستقر ولا
تبين.

في الثلج
تكتمل الصفات الأبجدية
وهي تعلن حالة من ياسمين.

في الثلج
تزهو القلوب الخضراء
تدرك ما عليها
من دموع البعد
في ناي الحنين.

في الثلج
تذكر من خريطة عمرنا
دفاع الأمومة

ذكريات من حبر كلامها
طعم الحنان
وقبله من مجد ضمتها
لتبرئ كل ما في القلب
من ألم دفين

كأنني أحاول

كأنني أحاول
أن ألتس الآن ساعدك الحلم
فاستبشري بي صديقة نهري
وقولي: سأسعفك العمر
بل هات قلبك
واصعد
بكل هدوء إلي
ولا تجرح القمرين
أنا لك!

وهات سماءك
من روض روحي
كي أتمدن
في دولة الحب
يا لك!

أما تدرك
الآن أني بداية أحلامك
القرمزية
يا شاطئ الروح ما لك؟

1- نسبة إلى مدينة الحسكة

الوشم



• محمد حسن العلي



لوقع أقدامها طرق أميَّه

يسبي فؤادي غوى من أقرب السبل

أحسه لذع نحل يعترني جسدي

يُدمي ويدي بجرح غير مندمل

حفيف أوابها من فرع قامتها

كومضة البرق قبل العارض الهطل

عمداً تمسق خفق القلب في غنج

جاءت تعشش في الشريان كالجمل

تمشي على درج الأعصاب في حذر

مدعورة من بؤرة العشق في الجبل

لخطوها دق وشم يعترني جسدي

في مهجتي أبر تسري على مهل

وخافقي حين يصغي قرب موعدها

كالأرض تظفي ظميء الوجد من وشل

وعطرها البكر طول العمر طوقتي

كما يحيط بنان الشهد بالعسل

جعلت مهدك نبضي كل أنملة

فما لقلبي سواك اليوم من أمل

سفينة أنت فوق اليم مشرعة

ميناؤها جسدي المحموم كي تصلي

فأنت بوحى وشعري كل أشرعتي

وما عنيت سوى عينيك في غزلي

نايات القصب

• نبيه اسكندر الحسن



اسرج سهيل القمح لرداذ
المطر
فيسيل لعاب السنين
العجاف
واقندل بمجرهتي خيوط
الشمس
ومعانقة نسغ جذوع
السنديان
الواقف بعناد رغم رياح
عاتية
انشر فيضاً من اخضرار
القمر
لأحرك مجد البحار
والدرر
وارسم الجمال ومجد
الصور
اجمع من الغلة خبزا
للناس
يوفظ الحنين وشكاوى
البشر
وأجعل نجمة الصبح منارة
الدروب
وأسرج الحقل المرصود ونايات
القصب
فتنداح دوائر الينابيع تعكس ابتهاج
القمر
تعلم العصافير تراتيل خيوط
الشمس
واليمامات الخضراء تراقص أفنان
الشجر
وبمجرهتي أبقر بطن
الأرض
لتبتسم للبدور ويضح
النمر

أيتها الفراشة لا تجرحي الهواء

• عبد القادر أبو رحمة

لك أن تبعثري
التراب العالق على قميصي
أن تمرري هواء الروح
على جسدي
ولي أن أقطف الفاكهة
العالقة على شجر ثوبك
وأن أرد لك هواءك
معطراً بأنفاسك
كان المساء يصفف شعر البنات
وكنت وحيدة
كان حريك يضل سرب الفراشات
وأنت فراشة
فكيف تنصبين الكمان للفراش أيتها الفراشة؟
لك تحية الحيق في صباح من نعان
وأنت تهمسين في أذن الصباح
كي يغسل وجهه من آثار الحب
ويمضي لك...!!
حين الهواء يدخل رثة الفراشة
أنسى ما فعله بالجلنار
أنسى ما فعلته الفتاة بفتاها
مساء الخميس
قرب الساقية
السماء هنا
سماء الفراشة
فلا تجرحي بكاء الينابيع
لا تجرحي هواء الطفولة
اصمتي قليلاً
كي
ينمو
الماء.

ديوان دون ان ينتبه الماء..



تلقي القبض عليّ بتهمة فراشة

• زهير بردي

1 - أصابع من رجفتي

قلماً أكون في البارحة وأفكر أنني سادبر نفسي كيفما كان. حواء تحفر جسدي وترغب أن أسعد أيضاً وأسلمها شهواتي فقط دوني ودون أشائني الحية، ليست تمشي كما تعوي أو تنحني لبرزخي يتنقظ كلامي وعلى عادته الماء ينأم بوضوح في أبيض غيمة. وأنفاس الضوء تصيد الورد وتلقي القبض عليه بتهمة الفراشة، والتراب ينقب في الحليب ويكون العراف عصياً على الرؤيا حين يشرب بخت فنجان مكسور، ويدس حريز سريره كله في أصابع متشغلة برجفة فانوس يلطم وقاحة ربح، تصعد أبراج كاندراثية وسيرة جسد يترنح كما ميت لا أشلاء له ليتفتت طازجاً في الغواية بمزاح مر في فراش أخطاء تقراً نقوش حكمة، يقونة تكمن في أثرها المكسور فوضى المعنى الذي ما يزال يمنح الضوء قارورة فارغة نادراً ما تلوح خلف التوافذ، وتدبر عينيها إلى الخلف من الخجل، وفي عزلة عجيبه إيقاع أصابع تبوح بما يشبه الندور على ضريح حصيف، يتكلم مع حارس المقبرة عن العسل في يد صديقته المنزلية ويعلق في أصابعها وشماً غريباً كأنه تمسح بقايا قرابينه، وتعكر صفو السرير والأرض. وأنتي لم أكن محظوظاً جداً لأقول لنفسني إن أخطائي تصلح للنزهة فقط.

2 - طرق لا تسعني

على قيد مقبرة لا تسع موتي. تمر من أصابعي طرق تصعد بي كلاعب سيرك لا يتشغل بالموت كثيراً، رغبتني كتاب في متعة المعنى حياتي الهشة لم تكمل تكوين عظمة هيكلها. وقد رقدت تحت غيم جنازات تصعد وتعجن التراب، أحملها إلى مقبرة الضوء كلما ضحكك حد القرف وحلقت مع مزيد من المهرجين على الدوام كما تفعل الأوراق المتسخة على الأرصفة، لا شيء يخذلني عزيزي القبر سوى طرق لا تسعني حين أمرت تحت بوابة رعشتي. وألغ بصري وألصقه في هيكل عظمي للماسو في متحف لم تره سوى جنيات، تسرق منه ما يسع ضجيجها الأعلى من هواء خرف يقلقه الورد بأصابعه الكثة بالضوء والأناشيد، تجيء ضجيجاً أيضاً بتفسير خطأ في حكمة آلهة يشمون رائحة ظل ليس على ما يرام ولا يرفع عينيه إلى الضوء، خشية يقونة في جانبي بورتريت شخصي لقديس في حالة دهشة. ويفعل كذلك هذا الثلج الحديث. يده تقضي فترة النوم على سرير طين في ملجأ موحش ومن مسلة كلام يقول أعمى المصاييح المطلة على سر الحب شيئاً، ويطمر جسده تحت صوت، يسكن صورة فوتغرافية على جدار صلصال. يتعهد لوحده أن يملأ بسخاء هوامش حكمة تنزل فوق زيت كراسة بلا خطوط طول وعرض

3 - جسدك الأريعون

مزمار برائحة الفردوس، يحسن أن يجمع عزلة المرايا إلى بلل صاخب بلوعة رثاء زنبقة حمراء في جسد بارد، وليس عجبا أن تمشي تحتي نقاط حروف سقطت من دودة توت امرأة باهرة الشفتين وحرمة النبيذ، كانت تصغي إلى يدي التي تركتني اياي، تصرخ حين تحديق إلى قصب منتصب كقمامة غيم يلبد في طياتها الطرية، وتتسلق الأماكن بهفوات شمس تنام قليلاً لتبصر آلهة تخون السماء أحياناً وتضع في القهوة امرأة لا تستيقظ إلا في الليل لترفع أقداح الزيت المتدفق من نافورات ثقوب جسدها الأربعة في مختارات من الكلام لم ينتبه إليها عشاق بأصابعهم المجربة في كتابة فردوس تحت لس ظل لا يبصر أحداً في المرة الأولى من موت تعيشه على أقل مجهود تحت ضوء شمعة، تنام في فردوس عتمة مقدسة في عراق يقرأ الكتابة بالمقلوب ويبرر انحناء فصيح من على تل في صعود يسبقه نزول إلى بئر، يحتفل بالسنه العشرين لعيد ميلاد ماءه، ليقف طويلاً أمام معبد لا يقطنه إلا حلقة تنتفض كهزات كرسى، يرقد تحت نافذة أليفة تنظر إلى شخصين يصبان على حريها نقاطاً من الزيت، العصفور يخطب العشب، لم يضر من نظرة حليب، يسيل من هم الشمس إلى طقوس ورد وهذيان هم فراشة كانت تعوي.

س . و . س

• ليل أيوب

سأنت أمي التي لم تلدني؛

ما معنى س. و. س؟

أجابني، إنها شيفرة يطلقها البحارة

وقت الخطر (أنقذوا أنفسنا)

حين التقى بي زوج أمي داراً

بعد استشهاد والدي وبذل روحه

لسيدة الأرض.

وحين أوشك قارب الحياة بالفرق

فاستجابت الأم الروحية لنا (نجاة)

هذبنا على أبجدية الحب

في هذه القرية الآمنة، عشت مع تسعة

أخوة كل واحد من رحم تخاطرت أرواحنا منذ

الصفر لعشق الضاد أنا ومهيار، كنت أرسم في

دفترتي كل الملامح الدقيقة لأمي؛ حين انقادت

لزوجها ذو القيم المتوارثة حد الملل.....

من أجل الرغيف

أرسمها كيف تكبر كل عام

وكيف يتماهى الياسمين بشعرها

وكيف ينحني ظهرها، فاعينها بعكاز

يريح خطواتها المرهقة

ولم انسى نظارة قد رسمتها من دمع عيني

ذات شتاء بارد ألم بي، وكل سنة تمكث الاغاعي

المعكوفة على حاجبي زوجها، أعرف أنها تعيش

يومياتها البليدة الفاترة والتي لا تليق بانثي

عشقت ذاك النضال، مهيار وحده من أخبره

ادق تفاصيلي، درسنا معاً في الجامعة وتزوجنا

ومن نافذة الحافلة تلاشت صور الطفولة،

الشارع عريض والسيارات

راكضة أسمع أنفاسها متسارعة

الأبنية في نموها الطبيعي تتفجر حياة

رغمًا عن كل شيء.

___ سأضمد جرحي وأعودك أكثر حكمة

في المساء أشعلنا المدفأة تلك الليلة القارسة

أصبح للصمت طعم البوح

طرحت خجلي جانباً

واعترفت اعتراف الأقوياء؛

___ أورق في نسجي وخطايي

___ دلني كيف أتخلص من جذبي بخصبك

لأنني امرأة مركبة مثل صخور بركانية وأنت

الشغف للغوص في طبقاتي.

غرقنا في دفء نعاس، إلى أن لاح الفجر

بصوت مؤذنيه

ساد الغرفة ضباب دامس فتحت الباب

فشبت نار بها ضرم في الغرفة

المخنوقة، صرخت خرجت بشفيف ثوبي

إلى الجيران لانقاذ

البستني الجارة قطعة سوداء إلى اليوم

ترتديني، بعد أن ألبسوه الأبيض إثر احتراق.

وكانه لحم على وضم..

اتجهت الى ال. نجاة لانقاذ روحينا

وليتامى جد.

في السنة الأولى، بيت صغير يتأوه من برده

وبضع أصدقاء كانوا الحضور والشهود أمسى

الحزن مشروع دهري، حادة السدم حين تخطر

ببالي تلك الطفولة اليتيمة، قررت زيارة

مدينتي الضافية وشم ذاك الحضن الذي

نقاني لكن روح أمي روح الحقيقة التي تسكنها

ستتشبث بي وسأختلق لها الاعذار لأحيا بها

وأنهض من حطام الماضي...

ثم أميت تلك الذاكرة وأحيا لمهيار بعد

ساعات باركت زواجنا، ودموعها كالوسمي في

اول تباشيره تعشقه الأرض بعد خماسين

___ يا للذاكرة المتقدة التي لا يطفأها

النسيان

بات أنيني بطيء خافت

___ برويتك حياة إنني أشم ريح الصبا

اعتدلت قامة أمي، لكن إرث الذل والمشقة

الذي يساورها عمراً غمزها بعينيه، مكشوف

هو مثل بحيرة ضحلة يدعي أنه السيد وهو

العبد لنفسه الأمانة بالسوء.

وقبل ان تتأوه الشمس للمغيب

وبعد انقطاع المطر، هددي حرمان آخر.

اهدتني موت حياتي بمدفأة صغيرة

على الكاز.

بها أطفأت حرائق عمري، وتمسكت

بمهيار أكثر.

___ الآن أفكر بك بكثير من الموضوعية

في قلب ليل نامت الصبية لا من تعب، إنما من ويل، ونام عليها الليل!

أعطى المايسترو اشارته، وحين يشير المايسترو فلا مشير بعده، قالت اشارته على نحو قاطع يقطع الأحلام.. يقطع القلب.. يقطع الصلة بين الواصل والموصول.. يقطع حبل اللقاء فتهب ريح على القمصان البيض فتذروها! قالت إشارة ملك الإشارات، انتهت الأغنية

يا ليته ما قال ولا أشار..

إذ دب ديبب الربع في الأقواس والأوتار، وصاحت سُهيري، بل صدحت، أغنيتي لم تنته.

قال عازف الكمان، دعها تكمل أغنياتها.

قال عازف العود، لا تحرمنا شذوها.

قال عازف الايقاع، ماذا نشرت الصمت علينا؟

قالت سهير والقمصان البيض تتطاير حولها؛ ماذا أنا؟ ماذا ليست هي هُن هذه تلك؟ ماذا أولادي محكومون بانتهاء الأغنية؟

قبل ساعات من وقوع الواقعة، نزلت سهير إلى السوق. اشترت لأولادها ما يلزمهم الآن وغداً وبعد سنة.

كانت تعاني صداعاً شديداً متواصلًا ولم تُفصح عن مكنون الألم، كابتت وصابت وصبرت، يجب تأمين لوازم الأولاد، خصوصاً الصغير

رامي؛ روح ماما.. هل أعجبتك الأغراض؟

هي ورامي لم يعيشا معاً مدة كافية، مازال يحتاجها.

قبل ساعات من إيقاف الأغنية زارت أمها، طوال حياتها كانت تُقبل أمها قبلتين، هذه المرة قبلتها أربعاً؛ أمي. سأشاقك إليكم. لا تنسوني.

حين أظلت سماء الموت

أرض الحياة. انسحب الكمان من دفء الأغنية، العواد من الأهات، الصداح من الحنجرة، النواح من الحرقرة.

أوت سهير إلى سريرها أملة بصباح جديد لا صداع فيه. أوت لآخر مرة بانتظار شمس أفضل من شمس ماضيات.

رامي. روح ماما.. هل أعجبتك الأغراض؟

توقع رامي كل شيء..

أن تزاحمه أختاه على مائدة الصباح، أن يدلق الشاي على بنطاله، أن يستمر صداع أمه، أن ينهره أبوه لتسيانته إطفاء الكومبيوتر قبل

النوم، أن تسأله معلمة المدرسة عن درس الرياضيات، أن تستعمل زميلته مريم قلمه الرصاص دون إذن، أن ينزل مطر فتلغي معلمة

الرياضة درس الرياضة، أن يمرض فلا يذهب إلى المدرسة أصلاً، فتقدم له أمه عصير الليمون المحلى بالسكر، روح ماما أنا ولا أنت.

توقع رامي أشياء وأشياء، إلا أن يستيقظ بلا أم.

رحلت سهير بأغنية ناقصة. في ليل وصمت ونبل.

لم ترزعج أحداً، لم تطلب إسعافاً من أحد، لم تثقل على أحد، لم تطل كأس ماء من أحد

رحلت حيث يرحلون. دون أن يعرفوا لماذا يجاء بهم ولماذا يرحلون؟ وكانت قبلت أمها أربعاً؛ لا تنسوني يا أمي.

رحلت بأغنية متييسة في الحلق، ماتت موتاً جليلاً غامض العطر، أفهمتنا أن الموت سهل، أسهل مما نعتقد، وأن قمصاننا البيض قريبة ولا نعلم

كانت سهير شجاعة، لذلك ماتت قبلنا نحن الجبناء

لن تنساها مدرسة «أمية» الابتدائية في حي السبيل، لن تنساها إعدادية «ابن زيدون» في الشهباء، لن تنساها ثانوية «نابلس» في المحافظة، لن ينساها شارع الجامعة حين أصبحت زوجة وأما، لن ينساها الرصيف أمام مدرسة «خالد أزرق» في المارتيني حيث كانت تنتظر أولادها.

لن تنساها الدروب والحجارة والأغصان والشموس والنجوم والغيوم.

سيحزن فنجان القهوة حين يأتي الصباح ولا تشربه، سيحزن المطبخ حين يقترب وقت الغداء ولا تدخله، سيشتاق حبل الغسيل

دفع ثوبها الذي بلون فستق حلب، ستفتقد لمة العيد بهاء حضورها، ستفتقد الأشياء لمسها، ستفتقد الأماكن خطوها، ستفتقد حلب سيرها، شعرها الأسود.. عينيها الواسعتين.. بياض وجهها، همسها الحاني

كعذوبة أغنية.

في تراب حلب نامت سهير.

إلى المحب يعود المحبوب

كمن لا يعرف الشاعر

د. عبد المطلب محمود / العراق



رؤية بانورامية للمشهد العراقي تحت الاحتلال، وقد اختلف عما كان عليه بالضرورة، وعما كان يراه الآخرون - حتى الآخرون البعيدون عنه - فيه ويتلمسونه من تفاصيله الواضحة، لكن حميداً لم يشأ ترك الأمر يمر مروراً عابراً، بل شاء أن ينبه نفسه والمخاطب المفترض والمتلقين بعامّة، إلى قتامة المشهد الكلي، وطفيان السواد - دالاً وواقعاً - على كل ما يشهده العراق ويعيشه في ظروفه المتخلفة عن الغزو والاحتلال.

في القصيدة الثانية (مقامات بغدادية) من ديوان (مشهد مختلف)، سيأخذنا حميد سعيد - بدءاً من ثرياتها - في رحلة مرارة وعذاب من طريق آخر، إذ بينما لحظنا في القصيدة السابقة أن ثمة ما يشبه الصورة القديمة كان قد شكّل دورة من الوجد الممض المستمر بالدوران، سيجعل من المقامات البغدادية، الفن الغنائي التراثي المعروف بجذوره العريقة، وبتعدد أنغامه الموسيقية المتوارثة التي استقرت أصولها منذ العصر العباسي، مع بعض الأمثال الشعبية الشائعة، مرجعيات يوجه عبرها قصيدته هذه، بعد أن يفتتحها بلحظة وقوف رسام تشكيلي أمام «مربع لوحته.. / يدفع عنها الأبيض.. بخطوط متشابكة وبألوان متداخلة.. / ويشكل منها.. ما يتخيله فردوس طفولته..» (8)، بما يشي بإمكان الشاعر من الفنّين معاً؛ الغنائي القديم والتشكيلي المعاصر، إذ زواج بينهما واتخذ منهما وسيلة فضلى لتشكيل «ما يتخيله فردوس طفولته»، بما يعنيه من مدلول تراثه الشخصي الأقرب إلى نفسه، حتى لبدأ - لا بل استقرّ فيها - فردوساً بما تحمله دلالة الفردوس من مداليل دينية ووضعية بالغة الفتنة والجمال.

في وقفة الرسام / الشاعر الأولى :
«كان الأبيض يمتد بعيداً في العتمة..
والريشة تفتح باب الأسرار
لكن في أعماق اللوحة.. نُذِرُ
بالإعصار..»

أعابنت في طول البلاد وفي العرض
كبغداد داراً.. إنها جنة الأرض
وقول العالم اللغوي أبي عمرو بن
العلاء : «من أقام ببغداد ومات فيها نقل
من جنة إلى جنة» (5)، ثم ليدخل فيما
يشبه الخلوة الصوفية، فيسأل شيخه
هذه المرة إذ يواصل عرض ما حدث
ويحدث :

«أسأل شيعي.. أيها العارف
أكنت تدري بالذي يجري؟
يقول.. أدري وهو لا يدري
وما رأى الماء الذي يجري» (6)..
محيلاً في نهاية هذا المقطع القصير
إلى أحد الأمثال الشعبية المتوارثة عن
الشخص الساهي عما يدور من حوله
(يمشي المائي من بين رجليه) أي «يجري
الماء من بين قدميه» (!) وليواصل بعد
هذا «ما يشبه الخراب.. بل هو الخراب»
للمرة الخامسة / الأخيرة، ثم ليعود إلى
لحظة البداية ليعاود مخاطبة الشخص
الغائب - الحاضر المجهول :

«كما ترى في صورة قديمة.. ما ليس في
الصورة..
هذا مشهد مختلف..
يوحد الضجيج بالظل.. وتبدو
الخنفساء في ثياب امرأة..
وكل عاقر تقول.. أنجبت ألفاً من
الأطفال!!
تستأجر الأحلام..
هذا مشهد مختلف
إذ يحلم الغزاة.. ثم يدعون أنها
أحلامنا»..

ولأنه مشهد مختلف سيبدو كل شيء
فيه مختلفاً كذلك، حتى لتتحول المرارة
مما يجري إلى ما يفرض السخرية
على الشاعر، فيلجأ إلى بعض المأثورات
الشعبية الشائعة عن الخنفساء التي
تنزياً بثياب امرأة، وعن العاقر التي
تدعي الانجاب، مثلما ظهر في الجزء
السابق من النص، وما سيفرضه حلم
الغزاة من مشاهد فرعية غريبة، لينتهي
إلى تقرير حال بصيغة سؤال استنكاري،
لا تخلو إجابته المباشرة من اقتباس
قرآني :

«أهذه مدينة السلام.. أم مملكة
الذئاب
ليس سوى الرماد والجراد.. بين
الصلب والتراث» (x)

ليس سوى الغراب» (7)..
لينهي القصيدة بإعادة شطر الافتتاح
«كما ترى في صورة قديمة.. ما كنت قد
شاهدته في صورة من قبل.. / أو ما لم
تكن شاهدته..» لكن مع اختلاف واضح
وذي أهمية كبيرة في مداليه الظاهرة
والغيبية، إذ عمد الشاعر إلى تجاوز ذلك
المسكوت عنه في مفتتحها ليقرر :
«ها أنت ترى في ما تبقى.. صفحة
سوداء» (!)
فتبدو دلالات القصيدة بشكل عام

السارد كئي العلم، مثلما ظهر في قصائد
سابقة، ولكن مع شيء من التشوش في
الرؤية، دلت عليه عبارات الاستفهام
الاستنكاري :
«هل أعرف هذه الوجوه..
هل مررت من هنا..
وهل أقمت حيث تظهر الأشجار في
نهاية الطريق؟!
أسئلة تغيّر الصورة»..

ثم سيعقب ما مر سطران من النقاط،
يوصل الشاعر / السارد بعدهما نقل ما
أمكنه من صور (ما يشبه الخراب.. أو هو
الخراب)، لتأخذ مرجعيات التراث دورها
في التوجيه، وتشكيل نسيج متداخل من
تاريخ وحاضر :
«دم على المسلة الأولى.. على الملحمة
الأولى.. على القباب
دم على المتن.. على هوامش الكتاب
دم على الثياب..
دم على التراب..
دم على حدائق الله.. على الجوري
والصندل والنعناع» (3)..
وسيعرف الشاعر من هذا الدم ما
كان معه تاريخاً حميماً يحتفظ به، إذ
كان معه دم «على شواطئ الضرات..
في مقاهي الصيف»، أي في مدينته
التاريخية الشهيرة (الحلة)، وكان معه
«في الكرخ.. في الرشيد.. في الميدان»،
المنطقة العريقة الأولى في تاريخ بغداد
القديم، والشارع المعبود الأول في تاريخ
بغداد المعاصر في مطالع القرن العشرين،
والساحة الأولى من ساحات بغداد
القديمة، لتستمر ملحمة الخراب أو ما
يشبهه تعرض الحالة تلو الحالة، حتى
إذا بلغ الشاعر / السارد شأواً من عرضه،
سيتوقف بنا على حالة اعتزال المنشد -
وهو هنا بديل الجوقة التي كانت تروي
فصول الملاحم القديمة - إذ لا يجد من
يسمعه، ليحضر التاريخ من ثمة متعلقاً
بين قدميه الموجل في القدم، وعباسيه
المعروف ومعاصره، إذ :

«يعتزل المنشد..
في عزلة تأتي الأناشيد.. الرماد في
أوراقه..
تهاجر الحدائق الأولى إلى تخوم
العالم السفلي
تحتال المواويل على النوموتختار
العصافير الفراغ فراغ
يسألني شيعي عن الرصافة..
أقول.. كان ليها..
يسألني شيعي عن بغداد..
أقول.. كانت جنة الدنيا.. ودرة
البلاد» (4)..
وقد استعاد بعد هذا الذي سكت عنه
ثانية، مثلما ظهر واضحاً من سطري
نقاط وضعهما بعد ذلك، عدداً غير قليل
من مأثور الشعر والقول في وصف بغداد،
من مثل قول الشاعر العباسي عمارة بن
عقيل :

بين العام 2005 حتى مطلع العام
2007، تواريخ معظم قصائد
ديوان حميد سعيد الثاني عشر
(مشهد مختلف) الذي صدر في
عمّان عام 2008، ومطلع العام
2009 حتى أواخر العام 2011،
تواريخ قصائد ديوانه الثالث عشر (من
أوراق المورسكي) الذي صدر في عمّان
أيضاً، ستكون تجربة الشاعر أمام أكثر
من منعطف، وستكون للتراث في قصائده
توجهات واتجاهات فرضها عليه - مثلما
يبدو - واقع حال زمكاني جديد آخر،
شهد كثيراً من المتغيرات التي جعلت ديوان
(مشهد مختلف) أولاً، يبدو مختلفاً تماماً
عما سبقه من دواوينه، وهذا ما سنحاول
تلمسه فيه، قبل الانتقال إلى الديوان
الأخر.

في القصيدة الأولى من القصائد
السبعة التي ضمها هذا الديوان (ما
يشبه الخراب.. بل هو الخراب)، سنقف
على ثريا القصيدة ابتداءً، الذي يشي
دالها المباشر بمدلول ظاهر تلمسناه
في قصيدة (تخطيطات بالفحم والدم
على جدران المتحف العراقي) من
ديوانه السابق الذكر (من وردة الكتابة
إلى غابة الرماد)، عندما أكد حميد
أن الخراب عم - مرتين - وفي الثالثة
حذف حرف الباء لتظهر العبارة «عم
الخراب» (1)، إذ سيتمظهر هذا الخراب
هنا بظاهريته، لأنه صار واقع حال في
بلده العراق، وإذ ستكون ثريا القصيدة
لازمة لتكرر خمس مرات في مواضع
مختلفة من القصيدة، سبق أن أشرنا
إلى وصفها ب (التوترات) من الباحث
الدكتور حبيب موسى، وبيننا ما نبه عليه
من دورها في الإبداع الشعري.

بمعنى آخر؛ إن هذه العبارة بجزأياها
شكلت بحد ذاتها تراثاً يسجل لحميد
سعيد، مادامت ارتبطت به وبما حملته
تجربته الشعرية الخاصة - العامة من
دلالاتها المباشرة الظاهرة والغيبية،
وستنسحب على تجربة القصيدة هذه
بالضرورة، لتتشكل منها معالم تراثية
متداخلة معها، تسجل بدورها ملامح
مرحلة كارثية بالغة السواد في حاضر
تاريخ العراق المعاصر، بما ستحفل به
القصيدة من مشاهد ثبتت أماكن دخلت
في التراث العراقي، فضلاً عن مأثورات
القول والمواجد الصوفية، إذ سيفتتح
حميد قصيدته هذه أصلاً من حالة
تذكر أو ما يشبهها، وجهه مخاطباً آخر
لم يعرفنا به :

«كما ترى في صورة قديمة.. ما كنت
قد شاهدته من قبل..
أو ما لم تكن شاهدته» (2)..
فراغ
وبعد هذا المسكوت عنه الدال بالنقاط
عليه، سيظهر أمامنا سريعاً متكلاً لا
مخاطباً، أي سيظهر بمظهر الشاعر /

تقليد الشاعر أيمن أبو الشعر جائزة الريشة الذهبية في موسكو



أقيم نهاية شهر تشرين الأول احتفال بتوزيع جائزة الريشة الذهبية على الفائزين بها لعام 2020 وذلك في مقر اتحاد الكتاب الروس في موسكو. جرى الاحتفال في إطار مكثف حيث اعتمدت إجراءات الاحتياطات الوقائية لتخفيف مخاطر انتشار وباء الكورونا بما في ذلك اختصار عدد الحضور. افتتحت الحفل الشاعرة



الروائية الروسية المبدعة الدكتورة «سفيتلانا سافيتسكايا» رئيسة لجنة التنظيم بكلمة ترحيبية تناولت فيها مسار ونشاطات فريق الجائزة ترافقت مع عرض سينمائي عن تاريخ الجائزة منذ تأسيسها عام 2005 وحصول كبار المبدعين عليها من مثل الشاعرة ريمّا كازاكوفّا، والشاعر يفتوشينكو وعدد من الأدباء المبدعين من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وغيرها من الدول الأجنبية. كما تحدث في الحفل نيقولايف إيفانوف رئيس اتحاد الكتاب الروس ورئيس لجنة التحكيم الخبير الإعلامي الكسندر بوخاروف ومن ثم بدأ توزيع شهادات التقدير وجوائز الريشة الفضية والريشة الذهبية والهدايا التذكارية على الفائزين من رؤساء تحرير ومبدعين في مختلف المجالات الأدبية والصحية من روسيا والدول الأجنبية، وتحدث السفير السوري رياض حداد عن أهمية هذه الجائزة في تعميق التواصل بين الشعوب ومما جاء في كلمته: «العلاقة السورية الروسية تتعدى إطار العلاقات السياسية والعسكرية والأقتصادية بل إنها متينة أيضاً على المستوى الفكري والثقافي والأدبي وخير دليل على ذلك هو فوز شاعرنا السوري الكبير أيمن أبو الشعر بجائزة «الريشة الذهبية» لهذا العام، وتوجه بالتهنئة للشاعر الدكتور أيمن أبو الشعر لفوزه بهذه الجائزة القيمة «الريشة الذهبية» الروسية متمنياً له ولبقية الفائزين التوفيق في مسيرتهم الأدبية.

ثم قدمت الشاعرة سافيتسكايا الشاعر أيمن أبو الشعر معتبرة أنه مثيل في جماهيريته وأسلوبه بالشاعر الروسي الشهير يفتوشينكو، ومنوهة بأن قصيدة قارح الطبل الزنجي كان لها دور في هذا التقييم الذهبي للشاعر، إثر ذلك قلد الشاعر أيمن أبو الشعر جائزة الريشة الذهبية وهي مصاغة من الذهب عالي الجودة بشكل فني جميل لريشة الكتابة مع وثيقة يظهر فيها تقييم اللجنة لمنح الجائزة لقاء الفنية العالية في الصياغة الشعرية. وتحدث الدكتور أيمن أبو الشعر بعد ذلك بالروسية شاكرًا للجنة هذا الاحتفاء ناقلاً التحية والعرفان لروسيا على مساندتها للشعب السوري في نضاله ضد الإرهاب، ومن ثم ألقى مقاطع بالعربية والروسية من قصيدته المعروفة قارح الطبل الزنجي، لاقت استحساناً من جمهور الأدباء والصحفيين تجدر الإشارة إلى أن الشاعر أيمن أبو الشعر كان قد منح جائزة ماياكوفسكي عام 1985 وصدر له قرابة ثلاثين مؤلفاً منها باللغة الروسية مجموعة شعرية عن دار البرافد بعنوان صوت الحياة، وقصة خيالية للأطفال عن دار أدب الأطفال السوفيتية، ومسرحية رجل الثلج عن دار بيلوس كونساتينغ في موسكو، وستصدر خلال أيام مجموعة شعرية جديدة لمختارات من أشعاره ترجمت إلى الروسية بعنوان قلب يبحث عن نبضه. ثم أخذت الصور التذكارية وجرى تبادل إهداء الكتب بين الأدباء والمبدعين وبعض نتاجات الفنانين والموسيقيين. الجدير بالذكر أن الشاعر السوري الدكتور ثائر زين الدين كان قد حصل على هذه الجائزة العام الفائت.

الفنان وجحيمه

• سليمان حاج علي

فجأة يتذكر صاحبنا الروائي عصابات اللصوص والمافيات التي تجتاح الكرة والأرض والبشر خطفاً وارتهاًنًا وابتزازاً. ينتابه الخوف والقلق والوسواس فقد يكون هو أيضاً معرضاً للخطف والارتهاًن والابتزاز، ولأكثر من عصابة، من تلك العصابات فيما إذا ربحت روايته الجائزة.

كبر عليه أن يتمرغ كبريائه وشموخ أيامه بأن يكون مرتهاًنًا ومبتزاً من قبل قذارات الزمن.

بدأ النوم لا يجد سبيلاً إلى عينيه، شحب وجهه وتبددت طاقته وراحت نفسه تأبى الطعام؛

إنه الموت يراه الآن أمام ناظره يومي له من خلف النافذة.

زار صاحبنا الطبيب النفسي الذي أجابه قائلاً:

مشكلتك أنك تأبى أن تكون صغيراً

«أرشديني

أين أجد اللورد،

وأين تسطع الشمس،

وأين الظل على الأرض،

عندما يبدأ الشتاء؟

هنا ينتصب الفكر

مصلوباً بارداً،

وبالريح تصلصل الألوية»

يمسك الروائي المذبوح ريشته ليخط رسالة الحرية إلى الجهة التي تمنح الجائزة طالبا سحب روايته من التقدم لنيل الجائزة.

وهكذا عادت حياته سيرتها الأولى؛ إحباط و اكتئاب وسلب ونقصان ونزيف

وشعور بالذنب والإثميه

تجثم على روحه

التي تأبى إلا أن تُردد دوماً

أغنية الانتصار

أما في أحلام لياليه فراح؛

الموت ينهض من القبر ضاحكاً متحدياً يخطر خلف نافذته.

1 - مع الاعتذار للشاعر قيس بن الملوّح.

كان لديه ثقة عالية بأن روايته ستربح تلك الجائزة التي أعلن عنها مؤخراً وضعت روايته النقاط على الحروف وأشارت إلى الطريق، وتكلم فيها عن قانون الأرض والسماء والإنسان. تلك الجائزة كانت ستنتهي كل تعاسته وقتوسطه واستسلامه ومشاعر الخوف اللاواعي التي كانت تتوسدها ليالي نومه. كانت ستسد كل تلك الديون التي تراكمت طوال سنوات من توقف الحياة وشكلت عبئاً ما زالت ترزح روحه تحته التي لم يبق منها في أعماقه سوى شبح واهن ينادي النجده.

بتلك الجائزة راح يتصور نفسه زائراً لصالات الفن وجماليات لوحاته وتمائله في بلاد بعيدة كثيراً ما قرأ عنها. في تلك البلاد سيكون أيضاً قريباً من هاتنات السينما اللواتي طالما لاحقهن في محطات التلفاز ينظر في جمال وجوههن. يشعر الرجل أن الكون قد وضع في روحه عشق الجمال والوجه الجميل لأنثى البشر وكم نام مطارداً من وجه جميل لفاتنة مر بها في شوارع وأزقة مدينته.

كانت روحه المصعوقة بعشق الجمال تُهسس له هامة؛ أه أيها العبقري المجنون بعشق الجمال أشعر بك مستعداً أن تتخلى عن كل تلك الجائزة التي ستربحها روايتك مقابل قضاء ليلة مع وجه جميل لإحدى هاتيك الفاتنات اللواتي تلاحقن على شاشة تلفازك (12 - بوصة) الذي يرقص عليه غباره المترام كلما خطرت فاتنة عبر شاشته.

الرجل لا يطلب الشيء الكثير، وإن كل ما يتمناه هو أن ينعم بصحبة الجمال وشفوفه

«وأن يضمّ إليه ليلى

قبيل الصبح ويقبلها فاهاً

وأن تُرف عليه فروع ليلى

رفيف الأقحوانة في نداها(1)»

كثيراً ما تمنى أن يكون ممثلاً سينمائياً، ليعيش اللحظات السعيدة في عناق مع الجمال، وكثيراً ما كان يشتم أولئك الممثلين وينعتهم بالحمقى الأوغاد لكونهم يحتكرون الجمال وحدهم، وكثيراً ما تمنى لو يرميهم بحجارته.

الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن

تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

أسست وصدرت ابتداءً من عام 1986

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق - ص 3230 - هاتف 6117240-6117241 - فاكس 6117244 - جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 \$ خارج الوطن العربي 1 \$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشاركين خارج سورية

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:

- غير منشورة ورقياً أو عبر الشبكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الإلكتروني hotmail.com/alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة

تعبّر عن وجهة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :

alesboa2016@hotmail.com

المدير المسؤول:

مالك صقور

رئيس اتحاد الكتاب العرب

الإشراف الفني:

نضال فهيم عيسى

رئيس التحرير:

أ. محمد حديفي

مدير التحرير:

د. حسن حميد

رئيس القسم الفني:

مها حسن

هيئة التحرير:

أمير سماوي، د. سليم بركات، سهيل الديب،

علوش عساف، عماد نذاف، محمد الحفري



أ.محمد حديفي - رئيس التحرير



من ويلات الحروب

واصلنا سيرنا ببطء، وظللنا والفتيات طوال الوقت نلتفت وراءنا حتى اختفت المدينة في حُجب الضباب، وبقينا نمشي طوال اليوم.. وهنا يتدخل الكاتب ليصف شرود المرأة وعذاباتها التي ارتسمت على قسما وجها لتشكل دليلاً على حجم المعاناة التي كابدها، وقسوة التجارب التي عاشتها في هذه الرحلة القسرية التي أجبرت عليها ورفيقاتها اليافعات..

وتكمل حديفي قائلة: بقينا نمشي طوال اليوم، وفي المساء اضطررنا للمبيت في إحدى القرى، وجعلنا القش المسود في الاسطبل فراشاً لنا، وأضافت: لم أغمض عيني طوال الليل، وهنا لا بد لنا من استنباط واستجلاء كم المعاناة التي مرت بها هذه الفتاة حتى استعصى عليها النوم، وأضافت قائلة: عذبتني الحسرة والكآبة والحزن، وأمتني ساقاي من تعب الطريق، وحين استيقظنا مكرهين في وقت مبكر تم إيقاظنا تحت وقع صياح وسياط رجال الشرطة، وحين وصلنا في المساء إلى مدينة «ستالينو» أعطينا قطعة من الخبز وكوبا من القهوة، وفي الليل حملونا في شاحنة، وأغلقوا أبوابها بالترباس، وساقونا كالماشية نحو الغرب حيث أنزلونا في بولندا، لكن فقط من أجل تطهير العربات.

وتضيف.. وفي أمسية من أماسي أيار وصلنا إلى معسكر التوزيع، ولما فتحت أبواب العربات رأينا أماننا براكات قائمة اللون محاطة بصفوف عدة من الأسلاك الشائكة، كان الجنود برشاشاتهم يتربصون على الأبراج، وعندها رحنا نتحدث متسائلين: ما الذي ينتظرنا، وهنا تمضي في وصف الحالة النفسية التي كانت الفتيات يعشنها، وخيبات الأمل التي ارتسمت فوق وجوههن الشاحبة، وتكمل حديفي قائلة: في الصباح تم توزيعنا على أصحاب المنازل والمزارع، ولما كان نصيبها وأختها أن تساقا إلى مصنع للطائرات الذي لم تكن تعرف عنه شيئاً، ولتلافي ذلك تقول أدخلونا مدرسة لتتعلم على مبادئ هذه الصناعة، ثم أوضحت كيف أن الجنود يوقظون الفتيات بحسونة وفضاظة وقسوة في الساعة الرابعة صباحاً، ثم يقودونهن إلى محطة الترام، وبعدها إلى المدرسة لاستكمال الدروس التعليمية حتى يتم تعليمهن صناعة الطائرات لصالح هذا العدو ليرسلها لقتل الأهل في الاتحاد السوفييتي..

وتنتقل بعد ذلك لتصف بإسهاب الساعات التي تمر عليهن بطينة قاسية، حتى يحل المساء كي يعيدونهن ثانية إلى محطة القطار، ومنها إلى البراكات، ثم تصف حالة الفتيات النفسية والجسدية إذ يسقطن منهكات مستنزفات لكثرة ما عانين في ساعات النهار المرهقة والطويلة. وبشكل لافت تصف كيف أن هؤلاء الفتيات ولشدة التعب كن لا يردن أي شيء سوى أن يخلدن إلى النوم لينسين أنفسهن ووضعهن المأساوي هذا.

بعد ذلك تبين أنها وشقيقتها قد أصبحتا ناضجتين كاملتي الأنوثة نقلتا إلى مصنع لصناعة المناشير والمناقب، إلا أن الذي كان مزعجاً بالنسبة لهما هو عيون الرجال النهمّة التي تريد أن تفترس هاتين الموردين الغضبتين، وعندها تلحن الحروب وما سببته للبشرية من تشرد وقهر وذل وضياح، ثم تكمل حديثها بطريقة تجعل المرء يقف مندشاً، ومتسائلاً كيف أن إنساناً ما يمر بمثل ما مرت به هذه المرأة ويبقى بكامل قواه العقلية، وعلى قيد الحياة.. والجواب على ذلك نقول: إنها الحرب التي أثبتت التجارب والأيام أنها ما حطت في بلدٍ إلا ودمرتة مخلفة خلفها حسرات وخيبات وحكايات لا تنتهي..

لا شيء أفسى على القلب والروح والجسد من وطأة الحرب، لما تخلفه من ويلات وكوارث، وللحروب أنواع وأشكال، ولها غايات بعضها يبدو ظاهراً للعيان، وبعضها الآخر نجده مخفياً، لأننا لو دققنا في أهداف الحروب، واستعرضنا ما تركته من آثار مدمرة، لخلصنا إلى نتيجة مفادها أن للحروب تجارها الذين يذكون ناراً، وقودها الشعوب والفقراء، وحصيلتها دمار وخراب، وآثارها ويلات وحسرات ودموع وأيتام وأرامل وناكلات ومشردون، فما من حرب إلا وخلفها دوافع شريرة باستثناء الحروب التي تخوضها الشعوب مكرهة لتطهر تراب الوطن من غاصب محتل قدم إلى الأرض مدججاً بالحقد والأسلحة الفتاكة التي وصلت آثار بعضها إلى الدمار الشامل، الذي يفتك بالإنسان والحيوان وكل ما يدب أو يتحرك فوق وجه الأرض. إن الحروب التي تخوضها الشعوب دفاعاً عن أرضها ووجودها لا يمكن مقارنتها بتلك التي يشنها طامع غاز يهدف إلى استعمار هذه الشعوب وإذلالها، كتلك التي تديرها وتمولها الولايات المتحدة الأميركية والكيان الصهيوني، أو العثماني الطاغية رجب طيب أردوغان الذي يعيثُ فساداً وتدميراً حيثما حل أو تواجد، وحاديه خياله المريض الذي يزين له أنه سيستعيد أمجاد أجداده الذين نشروا الجهل والتخلف والحقد طيلة أربعة قرون استعمروا خلالها الدول العربية وعاثوا فيها فساداً، فأوقفوا عجلة التطور على صعد كافة، ونشروا الجهل والحقد والمرض..

إذا ما عدنا بالذاكرة إلى الحرب العالمية الثانية وقرأنا أسبابها ودوافعها، وما خلفته من كوارث وويلات نصل إلى نتيجة إلى أن الحرب التي لم تكن مقدسة كالحرب التي تخوضها الشعوب لاسترداد أرضها وكرامتها هي حرب ظالمة دوافعها الطمع والجشع، وشعارها إلحاق أكبر الأذى بكل من يحاول رفض الهيمنة والخضوع لطغيان الطغاة المستبدين الذين تدفعهم نزواتهم إلى خوض حروب إبادة ضد الشعوب ظناً منهم أنهم سيدخلون التاريخ كفاتحين عظماء إلا أن التاريخ لعنهم وسيلعنهم لما تركوه خلفهم من كوارث وويلات.

قامت الحرب العالمية الثانية، واشتعلت الحرائق في كل مكان، وتناثرت الجثث حتى ضاقت بها الأرض بعد أن انقسم العالم إلى قسمين متناحرين وراح كل واحد يشحن أسلحته فماذا كانت النتائج؟! أليس الدمار الاقتصادي والفقر والجوع والمرض من نتائج هذه الحرب؟! أليست الأجيال التي عانت الفقر والتشوه في الأجساد من نتائج هذه الحرب؟!

من يقرأ كتاب «عذاب الروح» الذي ألفه الكاتب السوفييتي «ميخائيل كيزيلوف» وقام بترجمته الأديبان «مالك صقور وشاهر نصر» يجد فيه قصصاً وحكايات تقشعر لها الأبدان لأن الغزو النازي للاتحاد السوفييتي وما تركه من جرائم بحق الأبرياء إذ قام بصب جام غضبه على الفقراء والمستضعفين حين عمل على تشريدهم واضطهادهم، وسامهم عذاباً لا يمكن لخيال بشري أن يحيط بشاعته ومساوئه، وهنا يقدم لنا الكاتب بعضاً من الأمثلة الحية كحكايات أخذت من أفواه أصحابها الذين اقتلعوا من ديارهم، وأخذهم الجنود الألمان، وحوّلهم لعمال أو خدم، وقاموا بانتهاك إنسانيتهم، ما جعل هؤلاء الضحايا يحملون ذكرياتهم المرة تلك جرحاً دائماً النزف عصياً على الاندمال.

وهذه إحداهن التي مرت بأقسى تجربة يمكن أن يكابدها بشر تروي حكايتها، لا بل قل مأساتها فتقول: لما غادرنا المدينة مكرهين، توقفنا ونظرنا طويلاً - طويلاً إلى الوراء، ثم

mouhammad.houdaifi@gmail.com



العربية

بين الواحدة المثالية والتحولت الواقعية

• د. صلاح الدين يونس

• دراسة

• من أحوال الغريب

• ممدوح لايقية

• شعر



• هكذا روضها

• قيس حسين

• كارمن اسماعيل

• رواية

مشورات اتحاد الكتاب العرب
إصدارات جديدة